العدد (٧٢١) ربيع الأول ١٤٤٧هـ - سبتمبر ٢٠٢٥م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية جامعة

الإسلام وعلوم الفضاء .. عمق وإبداع

من ظلال التأمل إلى أنوار المعجزات

الاستشهاد بالشعر عند الأصوليين

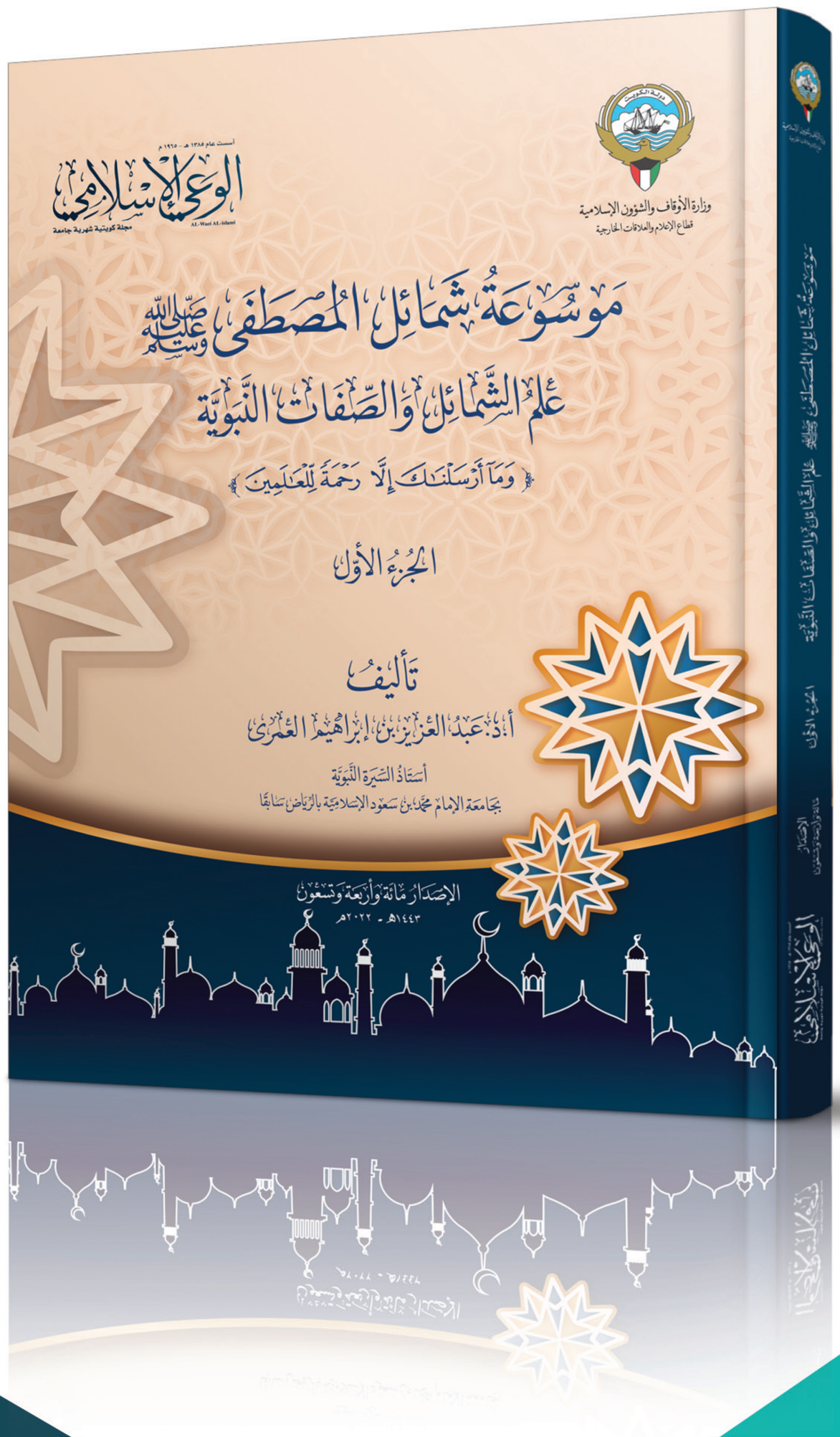
بجانا مع العدد: براعم الإيمان

جديدنا

موسوعة شمائل المصطفى ﷺ

إصدار جديد ومميز من إصدارات مجلة «الوعي الإسلامي» بوزارة الشؤون الإسلامية في الكويت لأستاذ السيرة النبوية الدكتور عبدالعزيز العمري.

وتتناول هذه الموسوعة القيمة، التي تقع في سبعة أجزاء، علم الشمائل والصفات النبوية بطريقة علمية تدل على غزارة علم مؤلفها وسعة معرفته.



الافتتاحية



أمان مصطفى أمان
رئيس التحرير

الإسلام وعلوم الفضاء.. عمق وإبداع

لا ريب بأن المسلمين هم من أوائل من اعتنى بدراسة علم الفضاء لارتباطه بالعبادات الإسلامية؛ كتحديد اتجاه القبلة، وأوقات الصلاة، وتحري هلال رمضان، وتنظيم التقويم القمري.. وغيرها، واعتبر المسلمون علم الفلك، أو كما يسمى أيضا علم الهيئة والفضاء، من أشرف العلوم الكونية منزلة، وأسناها مرتبة.

لذلك شهد علم الفضاء تطورا ملحوظا في الحضارة الإسلامية، إذ قام العلماء المسلمون بتطويره من خلال ترجمة الكتب اليونانية القديمة، وإجراء الأرصاد الدقيقة، وابتكار أدوات فلكية جديدة، وقد أثرت إسهاماتهم بشكل كبير على تطور علم الفلك في الغرب.

وكان للعرب المسلمين فضل كبير في هذا العلم العريق، فقد تفوقوا تفوقا مبهرا، ووضعوا خرائط للأجرام السماوية، وحددوا أوقات الخسوف والكسوف، ومنازل القمر، وبينوا وضع الكواكب حول الشمس وطبيعة النجوم واختلافها عن الكواكب في مخطوطات عدة.

والقرآن الكريم قد دعا المسلمين إلى العناية بهذا العلم، لإمعان النظر وإدامة الفكر ليثبتوا التوحيد وليعرفوا عظمة الخالق وسعة حكمته وجليل قدرته ولطيف صنعه.

ومن أبرز العلماء الذين تركوا بصمة واضحة في علم الفضاء: العالم الفلكي أبو الريحان البيروني، فقد قاس محيط الكرة الأرضية، وأول من قال بكروية الأرض ودورانها حول الشمس، كما طور البيروني معادلة رياضية لاستخراج محيط الأرض بطريقة علمية بسيطة، وهذه المعادلة لحساب محيط الأرض لا تزال مستعملة حتى الآن، وعرفت عند علماء الفلك بقاعدة البيروني لحساب نصف قطر الأرض.

وكانت العالمة الفلكية مريم الإسطرلابي أول من اخترعت الإسطرلاب في الفلك، كما ظهرت عبقرية الفلكي الخوارزمي في «الجدول الفلكي» الذي صنعه، وصار لهذا الكتاب أثر كبير في الشرق والغرب.

وكان علماء المسلمين يصدرون كتابا دوريا باسم المناخ، وهي موسوعات تنبؤية حولية أو فصلية تبين أحوال الجو في كل عام، ومواسم الزراعة للنباتات والطقس والمطر حسب التوقعات الفلكية، مما كان يساعد الزراع والمسافرين على التعرف على الأرصاد الجوية. وقد نقلت أوروبا فكرته، وحاليا ما زالت الموسوعة السنوية من المناخ تصدر سنويا في معظم بلدان العالم.

وختاما؛ فإننا نفخر بما قامت به الكويت من عناية فائقة بعلم الفلك والفضاء، من خلال تأسيس الجمعية الفلكية الكويتية، وجهود العالم الفلكي الراحل الدكتور صالح العجيري رحمه الله الذي أسس مركزا في مجال علوم الفلك والفضاء، وحرص طوال عمره المديد حتى وفاته على ترسيخ وتشجيع ملكة البحث العلمي لدى الشباب، فلم يهدأ له بال حتى اكتمل إنجاز هذا الصرح العلمي المميز الذي يعنى بعلم الفلك وحساب المواقيت والأهلة وإصدار ونشر التقاويم وتقديم الاستشارات العلمية.

مجلة كويتية شهرية جامعة

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

تصدرها وزارة الشئون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٧٢١ / ربيع الأول ١٤٤٧هـ
العام الثاني والستون
سبتمبر ٢٠٢٥م



سعر النسخة

- الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات
- البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات
- الإمارات: ٥ درهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد
- مصر: ٥ جنيه • السودان: ٥,٠ جنيه
- لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
- المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي،
- فلسطين: دينار أردني ،

CANADA , 4.25CD, UK2.5 POUND

رئيس التحرير
أمان مصطفى أمان

المراقب المالي والإداري
طلال عواد الظفيري

مدير التحرير
مشاعل فجر العتيبي

التحرير
د. تركي محمد النصر
ريميه شليويح الشلاحي
محمود شاكر محمود
منيرة متعب الفرتاج

الإخراج والجرافيك
سيد محمد عبدالقادر
فاطمة جمال الجندي
وضحة عبدالرزاق العرادة

الإشراف الفني
الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٣٤٣٩٩٩
فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣
للإعلان : ١٨١٠١١١ داخلي - ٤٥٩٧
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

المحتويات

٣	**الافتتاحية/** الإسلام وعلوم الفضاء.. عمق وإبداع	أمان مصطفى أمان
٦	**قرآن/** القرآن الكريم في مواجهة الأزمات النفسية	د. محمد عطية متولي
١٠	**سنة/** بيان التوجيه النبوي في الدعوة إلى الزراعة	رضا إبراهيم محمود
١٤	**الفقه وأصوله/** الاستشهاد بالشعر عند الأصوليين (٣/١)	أ. د. محمود محمد الكبش
١٨	**شخصيات كويتية** /د. صالح العجيري	محمود شاكر محمود
٢٠	**تزكية/** كيف تكون محبوبا؟	صابر علي مصطفى
٢٤	**ملف العدد/** الإسلام والفضاء.. دلالات حضارية	د. السنوسي محمد السنوسي
٢٨	الطاقة الشمسية في العالم الإسلامي	حصة الزامل
٣٠	الفضاء في نظر الإسلام.. تأمل علم وعبادة	ديمة خلف الراجحي
٣٢	نيوم والطاقة الشمسية	ريمية شليويح الشلاحي
٣٤	من ظلال التأمل إلى أنوار المعجزات	سعاد القحطاني
٣٦	دراسة كتاب: ما يعلمه الإسلام عن حماية الكوكب	ظهير البويا
٣٨	النجوم عند العرب	محمود محمد القليني
٤٢	الكون وعجائبه	مريم الكندري
٤٤	القرآن والظواهر الكونية: بين الإعجاز والعلم	مها العنزي
٤٧	حين تحدث القرآن.. وأنصتت مراكز الفضاء	في المطيري
٥٠	وانشق القمر	نجاح عبدالقادر سرور
٥٢	المطر والفضاء في الإسلام.. حوار بين الأرض والسماء	هالة محمود
٥٤	**دراسات/** الهوية الإسلامية في زمن العولمة	محمد العمراوي
٥٦	**سيرة/** مسجد البيعة.. أحد شواهد السيرة النبوية العطرة	د. محمد أحمد عنب
٦٠	**حضارة/**المسجد في الإسلام وطن للحكمة	ناصر الجعفري
٦٢	**تربية/** المناسبات الدينية والتربية الروحية	علياء ناصف
٦٤	**أنباء الكتب/** رسائل التربية والأخلاق في رواية «عبده والبحر»	حسن الحضري
٦٧	**شذرات**	عمرو طه
٦٨	**لغة وأدب/** التمثلات الدينية في شعر محمود غنيم	أحمد حمدينو محمد
٧٠	واو الثمانية	د. حمدي طنطاوي
٧٤	**أخلاق/** هندسة الأفكار	د. جميلة خليف
٧٦	**فكر/** دور الهوية الإسلامية في تعزيز الانتماء	د. عبير فاروق عبدالعزيز
٧٨	**دعوة/** نماذج من اتجاهات الإصلاح الاجتماعي	د. أحمد درويش
٨٢	**شعر/** تطوير	عبدالرحيم الماسخ
٨٣	**أسرة/** صحة الأبناء.. المشكلة والعلاج	خالد مال الله
٨٤	الزوجة المسلمة.. واقع وتضحيات	د. عبدالمنعم مجاور
٨٦	استوصوا بالنساء خيرا (٢)	د. إيمان يوسف المرزوق
٨٨	**مناسبات/** النور الذي أضاء العالم	رحمة العنزي
٩٠	عام دراسي وثواب متجدد	حسن عباس
٩٢	**مجالس الإفتاء/** نازلة خدمة الدفع الآجل	د. عبدالفتاح همام
٩٤	**سلسلة الأعلام ١٠٣**	د. رياض العيسى
٩٥	**كنوز مكتب مجلة الوعي الإسلامي ١١٤**	ياسين محمد كتاني
٩٦	**شيخ المؤرخين الأندلسيين عبدالرحمن بن علي الحجي**	هشام الصباغ
٩٧	**ينابيع المعرفة**	د. تركي محمد النصر
٩٨	**مسك الختام/** وتلك حدود الله	عثمان إسماعيل حسين
٩٩	**الغلاف الداخلي**	فاطمة جمال الجندي

كلمة العدد

علم الفضاء

أولى الإسلام منذ بزوغ فجره علوم الفضاء اهتماما بالغا، لا سيما في الحقبة الذهبية للعصر الإسلامي، إذ كان له تأثير واضح في نظيره في مختلف الحضارات السابقة والمعاصرة. وازدهرت علوم الفضاء التي لاقت اهتماما من الخلفاء والقادة، حتى ألف فيها علماء الأمة الإسلامية المؤلفات الرائدة التي صارت فيما بعد مصدرا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه لهذا العلم المهم، والكثير منها لا يزال مخطوطا، وقد اهتم الباحثون بتحقيقها وإبرازها للعالم.

إن الاهتمام الإسلامي بعلوم الفضاء إنما برز لمكانة العلم بمختلف فروعه في ديننا الحنيف، ولارتباط علوم الفضاء ببعض أركان الشريعة الإسلامية وفروعها كالصيام والأعياد والعدد والنذور والأيمان والأحوال الشخصية وغيرها، لا غرو فهو علم له مكانته الشرعية واختص به الأجلاء من علمائنا حتى صار ينسب إلى العديد منهم اسم «العالم الفلكي الحيسوبي»، وأولى القرآن اهتماما بعلم النجوم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام:٩٧)، وعلى أساس هذه الدعوة طور المسلمون أدوات للرصد والإبحار ما زال العديد منها يحمل الاسم العربي الإسلامي.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

قرآن

القرآن الكريم في مواجهة الأزمات النفسية

د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الشؤون الإسلامية



خلق الله تعالى الإنسان بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وبين له طريق السعادة وما يمكن أن يلقاه من عقبات خلال سعيه لرضوان الله تعالى. ومن هذه العقبات ما ينشأ من نفسه التي بين جنبيه، ومنها ما يكون من قرين السوء من شياطين الإنس والجن، ومنها ما يكون من البيئة المحيطة.

ومن فضل الله تعالى على الإنسان أن بين له كيف يتجاوز هذه العقبات الداخلية والخارجية وسنحاول خلال السطور القادمة الإرشاد إلى بعض الأدوية القرآنية لتخطي الأزمات النفسية، لكن ينبغي قبل البدء في تقديم هذه الأدوية أن نوقن أن المسألة ليست مسألة معرفية فحسب، فكم ممن يملك معلومات ضخمة لكنه لا ينتفع بها، لا في طريقة تفكيره ولا في طريقة تناوله للأمور ولا في تصرفاته، ولكي نتقي هذه الأزمات العاصفة بالوجود الإنساني والمهددة للصحة النفسية ينبغي أن نمارس ما

نعرفه قولا وعملا وأن تكون هذه المعارف منارا يضيء لنا الطريق، ومن هذه الأدوية القرآنية الإيمان بالله تعالى، ذلك الإيمان الذي يعصم المسلم من الانكسار أمام الأزمات ويمنعه من الانجراف في تيار الهموم، فإذا عاد إلى كتاب ربه يستلهم منه الرشد وجد قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:٥١). يقول ابن عاشور: «ولنا الرجاء بأنه لا يكتب لنا إلا ما فيه خيرنا العاجل أو الآجل، لأن المولى لا يرضى لمولاه الخزي»[١].

وكم في المصائب التي نكره وقوعها من خير لا يعلمه إلا علام الغيوب سبحانه وتعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٢١٦).

وإذا عاد إلى أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلا وجد منها: الرحمن، الرحيم، اللطيف، الوكيل.. وغيرها من الأسماء التي تنزل بردا وسلاما على هذه القلوب الظامئة للدعم النفسي، ثم إن في التعلق بالله تعالى والتمعن في أسمائه الحسنى وصفاته العلا ما يريح الفؤاد، فمهما كان البأس شديدا والأعداء كثرا فإن ما قدره الله تعالى سيكون، قال النبي ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»[٢].

كل ذلك مع استشعار معية الله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة:١٨٦).

الصبر الجميل

قال ﷺ: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»[٣]. الصبر الحقيقي في بداية نزول البلاء واصطدامه بالأبدان والأرواح، أما بعد ذلك فاختلاف الليل والنهار ينسي، كما قال الشاعر، مرور الأيام والليالي كفيل بأن ينسي الإنسان أو تتضاءل حدة المصيبة وتأثيرها على حياته، ثم إن الصبر الذي نوصي به هو الصبر على استخدام الأسباب للخروج من الأزمة وانتظار فرج الله تعالى، وفرجه سبحانه قريب. ونحب أن نشير إلى أن المؤمن يعيش بين الصبر والشكر؛ فإذا أنعم الله تعالى عليه بنعمة شكر الله تبارك وتعالى بلسانه وقلبه وجوارحه، وإذا ابتلاه الله عز وجل صبر لقدر الله.

«هو هين علي»

معنى قرآني تكرر مرتين في سورة مريم؛ فمهما كانت المصيبة ثقيلة ووقعها شديدا فإن إزاحتها هينة على الله تعالى، وهذا اليقين يريح النفس كثيرا فأحد الأمور التي توهن القوى الشعور بالعجز ومن ثم اليأس، بينما استحضار قدرة الله تعالى وقيوميته على الكون يفتح لنا أبواب الرجاء على مصراعيها، فلئن كنا ضعفاء -ونحن كذلك حقا، وكل من في الكون ضعيف فلا حول ولا قوة إلا بالله- فإن الله تعالى هو القوي المتين.

ومما يعين على تجاوز المصائب والمحن ما نشاهده من ألطاف الله تعالى، تلك الرحمات التي تحيط بنا من كل جانب، لكن المشاعر السلبية تحجب عنا رؤية الأشياء على حقيقتها ورؤية ما يكرمنا الله تعالى به من بشارات وتأييد ومعونة في كل وقت وفي أوقات الأزمات على وجه الخصوص. إن هذه الرؤية تكشف لنا الكثير من أبواب الفرج التي يفتحها الله تعالى لأهل اليقين.

كما أن هناك عبادات كثيرة يقوم بها القلب في مواجهة الأزمات وأخرى يقوم بها البدن؛ فعبادة القلب التوكل على الله تعالى في كل شأن من شؤون حياتنا، وعبادة الجوارح السعي للخروج من هذه الأزمة وكل خطوة يخطوها المرأ في هذا السبيل طاعة لله تعالى. ولنا في مريم أم عيسى، عليهما



السلام، أسوة حسنة فقد أمرت بالأخذ بما يمكنها من سبب وبذل ما تستطيع من جهد مهما كان قليلا ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ (مريم:٢٥).

وصحيح أن للصدمة وقعها وللأزمة تأثيرها، لكن ينبغي ألا نترك أنفسنا لهذه التأثيرات الضارة للأزمات بل ينبغي أن نستجمع فكرنا وقوانا للخروج من هذا المأزق، والعمل أحد المعينات على ذلك ولكنه ليس العمل الذي ينتج من ردة فعل غير مدروسة، بل هو العمل الذي يسبقه هدوء النفس واستشارة المخلصين أهل الخبرة وأداء صلاة الاستخارة عسى أن يهدينا ربنا للرشد.

كما أن علينا قراءة قصص من فرج الله تعالى كربهم، وهي كثيرة مذكورة في القرآن الكريم وفي كتب السنة وكتب الأدب العربي التي تضمنت هذا الموضوع وغيره، و الكتب المفردة مثل الفرج بعد الشدة للحافظ بن أبي الدنيا ومثله للقاضي التنوخي، وذلك مما يعمق في النفس أن هذه الأزمة ستنتهي كما انتهى ما سبقها من أزمات مرت على البشرية، وأن هذه الأزمة مهما بلغت ليست كتلك التي مر بها خليل الرحمن عليه السلام حين ألقي في النار فقال الله تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ (الأنبياء:٦٩)، ولا تقارب أزمة يونس عليه السلام حين كان في بطن الحوت في ظلمات بعضها فوق بعض حيث لا يشعر به أحد ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ (الأنبياء:٨٧-٨٨).

ومهما بلغ المرض فلن يكون كأيوب عليه السلام الذي فقد أهله وماله وعافيته فنادى ربه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ (الأنبياء:٨٣-٨٤)، وأن نواظب على الذكر بحيث نواجه به أمواج البلاء التي تحاصرنا في أضيق الزوايا فنخرج منها إلى سعة فضل الله تعالى، ونحن إذ ندعو إلى المواظبة على الذكر نستحضر قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ (الأحزاب:٤١)، ونستلهم ما في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ

مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (البقرة:١٥٥-١٥٧) مكافأة جزيلة من الرب الكريم سبحانه لمن تغلب على ألمه حين أصابته المصيبة وذكر ربه بقوله: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

قال الإمام ابن القيم: «ذكر الله سبحانه السكينة في كتابه في ستة مواضع:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة:٢٤٨).

الثاني: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة:٢٦).

الثالث: قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ (التوبة:٤٠).

الرابع: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الفتح:٤).

الخامس: قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح:١٨).

السادس: قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الفتح:٢٦).

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- إذا اشتدت عليه الأمور، قرأ آيات السكينة، وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه، تعجز العقول عن حملها، قال: فلما اشتد علي الأمر، قلت لأقاربي ومن حولي: اقرأوا آيات السكينة. قال: ثم أقلع عني ذلك الحال، وجلست وما بي قلبة (زال عنه المرض).

وقد جربت أنا أيضا (الإمام ابن القيم) قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يرد عليه، فرأيت لها تأثيرا عظيما في سكونه وطمأنينته»[٤].

الربح من الأزمة

تمر الأزمات ولابد كما تمر أوقات العسر وأوقات اليسر بل كما تمر الحياة كلها، وهناك من يخرج من الأزمة رابحا كما قال إمام الحرمين: «وشدائد الدنيا مما يلزم العبد الشكر عليها، لأن تلك الشدائد نعم بالحقيقة؛ لأنها تعرضه لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة»[٥]، على رأسها أن يرزقه الله تعالى عبادة الرضا والصبر، ويجزل سبحانه وتعالى له العطاء الكثير على ذلك ويكون من بين من قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠)، ومن بين من وعدهم النبي ﷺ بقوله: «ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه»[٦]. هذه الأزمات تخفف من السيئات وهذا ربح كبير ولا شك.

وربح آخر أن نتعلم من الأزمة ونكتسب الخبرات اللازمة حتى لا نقع فيها مرة أخرى، ونعلم الآخرين قاصدين بذلك وجه الله فننال شرف التعليم والتحذير من الشرور.

وختاما، فإن في القرآن العظيم شفاء من أمراض النفس والبدن ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء:٨٢).

الهوامش

١- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور.
٢- سنن الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
٣- صحيح البخاري.
٤- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام ابن القيم.
٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير للإمام المناوي.
٦- صحيح البخاري.

رضا إبراهيم محمود
كاتب وباحث

بيان التوجيه النبوي في الدعوة إلى الزراعة

مثلت الزراعة على مر العصور والأزمنة، إحدى الركائز الاقتصادية لكل الشعوب والأمم، التي تبحث عن أمنها الغذائي وازدهارها الاقتصادي وزيادة دخلها القومي، لذلك اهتمت السنة النبوية المطهرة بأعمال الحرث والزراعة اشد اهتمام، وقد جاءت الكثير من أحاديث النبي ﷺ في بيانها، لتحث المسلمين على الزراعة، وإظهار منافعها للفرد والمجتمع.

حسنات غير منقطعات

والزراعة في الإسلام لها أهمية كبيرة، لما تمثله من مصدر الغذاء للإنسان والحيوان، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[1].

في رواية مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة»[2].

وفي بيان بعض المفردات التي جاءت بالحديث، يغرس غرسا: أي مغروسا، أي: شجرا، وفي قوله يزرع زرعا: أي مزروعا، أو يزرع زرعا: أي للتنويع، حيث إن الزرع غير الغرس، وفي لفظ يرزؤه: أي ينقصه ويأخذ منه، ونرى في الحديث الشريف عظم الفوائد والنفع، إذ بين فيه النبي ﷺ فضل المسلم ومدى قدره عند خالقه سبحانه وتعالى، ويزيد من رحمته بجعله تعمير الأرض سواء بالزرع أو الغرس، أعظم السبل لحصوله على الأجر الكبير والرزق الحسن، وجعل كل ذلك شاملا ومتصلا.

وأن أي انتفاع لأي مخلوق على الأرض، من إنسان أو بهيمة أو طير، أو أي نقصان بأي وجه من الوجوه، حتى وإن كان سرقة أو جناية، إنما يجر على صاحب الزرع أو الغرس الحسنات المتواليات أي غير المنقطعات، وتلك الحسنات لا ينتهي أمدها عند الحياة الدنيوية، لكنها تستمر وتدوم، حتى بعد الوفاة، أو انتقال الملكية إلى شخص آخر.

وكل هذا الأجر الكبير، سيكتب له وإن كان غرسه لعياله أو لنفقة دخوله، مثلما يقول ابن أبي حمزة -رحمة الله عليه- في عموم قوله ﷺ: «إنسان» كما جاء في بعض الروايات، ولا يخفى بعد هذا ما في ذلك من واسع الفضل وعظم الكرم، والتنويه بقدر المؤمن، وأنه يحصل له حتى وإن لم يقصد إليه بصورة عينية[3].

إضافة لما ورد، ففي الحديث فوائد أهمها أن غرس الشجر ليس من العبث واللهو، وإنما فيه الأجر والثواب من الله، وعلى المسلم ألا



يتوانى في عمل الخير، وأن يكون فردا إيجابيا منتجا وفاعلا في حياته ومجتمعه، والتفاؤل والأمل والتطلع للمستقبل بنظرة أكثر إشراقا، وأهمية استحضار النية قبل الإقدام على أي عمل، والغرس هنا لا يختص بالرجل وحده، بل يخص الجميع سواء الرجال أو النساء، وفي الحديث أيضا دعوة لبث روح التسامح، ومعالجة النفس من حدة الغضب والخصومات.

كفاية واستغناء وإعمار

لبيان فضل العمل والحث عليه، أكدت السنة النبوية المطهرة على العمل الشريف، الذي يكفل للمرء معيشته وحفظ كرامته ومروءته، ويصون له ماء وجهه من أن يراق، وجعل طلب الحلال فريضة على كل مسلم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب الحلال واجب على كل مسلم»[٤].

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره، خير له من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله، فيسأله أعطاه أو منعه»[٥].

وفي الحديث يقسم النبي ﷺ بالله الذي روحه بيده، يصرفها كيف يشاء وكان ﷺ كثيرا ما يقسم به، أن العمل مهما كان نوعه، فهو أفضل من سؤال الناس وإراقة ماء الوجه لهم، وأنه مهما يكن شاقا عنيفا، فهو أرحم من مذلة السؤال، ومعنى قوله ﷺ: لأن يأخذ الواحد منكم حبلا، فيجمع به الحطب على ظهره، (والمعلوم أن الحطب هو الخشب الجاف وهو من نتاج أعمال الزراعة)، فيبيعه ويأكل منه أو يتصدق به ويستغني به عن الناس، خير له من أن يأتي رجلا فيسأله، أعطاه ما سأل أو منعه.

والمراد أن ما يلحق الإنسان بجمع الحطب من التعب، خير له مما يلحقه بالسؤال من الذل والخزي، لأنه عند الحاجة ينبغي ترجيح الاكتساب على السؤال، حتى لو كان بعمل شاق، لأن عادة الناس الاستخفاف بمن يحتاج إليهم أو يتواكل عليهم، وقد نقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية عن بعض السلف قوله: «كسب فيه دناءة خير من مسألة الناس»[٦].

ويقصد بالناس هنا كل الأقارب والأباعد حتى السلطان، ما يعني أن السؤال لا يجوز إلا في حالة الضرورة القصوى من العوز، وأما إذا أمكن للمرء العمل في أي نوع من الأعمال المشروعة، مهما كان فيه شيء من الدناءة، فإنه لا يجوز له التعرض للسؤال أو مد الأيدي، حتى وإن كان ذلك السؤال باتخاذ أساليب متعددة، مثل المديح أو غيره.

كما دعت السنة النبوية المطهرة إلى تكثير الأشجار لما لها من منافع متعددة للفرد والمجتمع وحتى البيئة، فعن أنس بن مالك

عن النبي ﷺ أنه قال: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»[٧].

والحديث هنا يحث على غرس الأشجار المثمرة عموما، وإن كان المذكور فيه النخيل، كما يشير الحديث أيضا إلى ضرورة العناية بالزراعة والعمل في الأرض، وأنه لا يجوز انقطاع العمل في إعمار الأرض والاستفادة من خيراتها.

لفظ «الشجرة» كمثوبة بالجنة

في كثير من المواضع تطرق القرآن الكريم إلى ذكر الشجرة بصورة مفردة في نحو تسعة عشر موضعا، ومجموعة في نحو ستة مواضع، في حين جاءت كلمة زرع ومشتقاتها في نحو ثلاثة عشر موضعا، كما وردت نفس الكلمة في الأحاديث النبوية في كثير من المواضع، ومن اهتمام الإسلام بالشجرة ولفت الأنظار للاهتمام بها، أنه حتى في الجزاء على صالح الأعمال يوم الحساب ذكر لفظ الشجرة، باعتبارها مثوبة على بعض الأعمال الخيرية من المسلم.

ففي الحديث عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة»[٨].

ولفظ غرست: أي: زرعت، ونصبت نخلة، فيما أعطاه الله من الجنة، وقيل: خصت النخلة دون غيرها من الأشجار، لكثرة منافعها وطيب ثمرتها، وفي رواية أخرى «شجرة» بدل «نخلة»، فيحمل المطلق على المقيد، وبذلك يكون المغروس هنا في الجنة هو النخلة، وهذه النخلة لمن قالها مرة واحدة، فإن قالها أكثر فله بكل مرة نخلة، ومن الحكمة في هذا الغرس، أنه يرى ثمرة عمله، فيسر به ويفرح ويتمتع بهذا المنظر الجميل.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»[٩].

وفي هذا الحديث يقول النبي ﷺ: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي»، أي: قابلت نبي الله إبراهيم ليلة الإسراء، حين صعدت إلى السماوات العلا، «فقال»، أي: نبي الله إبراهيم: «يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام»، أي: أبلغهم سلامي، «وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء»، أي: وأبلغهم أيضا أن الجنة تربتها طيبة وماؤها عذب، «وأنها قيعان»، أي: وأخبرهم أن تربة الجنة قيعان، جمع قاع، أي: أرض مستوية متساوية.

و«أن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»، أي: وأخبرهم أن الذي يغرس به في تربة الجنة التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وهذا مثل قوله ﷺ: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة»، وفي الحديث أيضا الحث على الاجتهاد لدخول الجنة والظفر بتربتها الطيبة ومائها العذب، والحث على الإكثار من غراس الجنة، التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير.



لالتماس الرزق ورجاء الله

رحمة منه بعباده أجمعين، هيأ سبحانه وتعالى الأرض، وذللها للزرع والاستنبات وأمر الله عباده بالمشي في مناكب الأرض، لاستخراج خيراتها وجني ثمارها، والتمتع برزق الله الذي أودعه في باطنها، فقد روي عن عائشة -رضي الله عنها- عن النبي ﷺ أنه قال: «التمسوا الرزق في خبايا الأرض»[١٠].

وقال المناوي في فيض القدير، أي: التمسوه في الحرث لنحو زرع وحرث، وفي الحديث لفظ خبايا: جمع خبيئة: أي الشيء المخبوء، ولذلك قيل أراد بالخبايا الزرع، لأنه إذا أودع الإنسان البذر في الأرض فقد خبأه فيها.

والحديث يوضح أيضا إرشاد النبي ﷺ إلى طلب الرزق من الأرض، لأنها أقرب الأشياء إلى التوكل، وأبعدها من الحول والقوة، إذ إن الزارع عند حرثه الأرض وتنقيتها والقيام عليها ودفن الحب فيها، تبرأ من حوله وقوته، ونفدت حيلته فلا يرى لنفسه حيلة في إنباته وخروجه، بل ينظر إلى القضاء والقدر، ويرجو الله ربه دون سواه في إرساء السماء، ودفع الآفة مما لا حيلة لمخلوق فيه، ولا يقدر عليه إلا الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض.

في الشفاء والتداوي

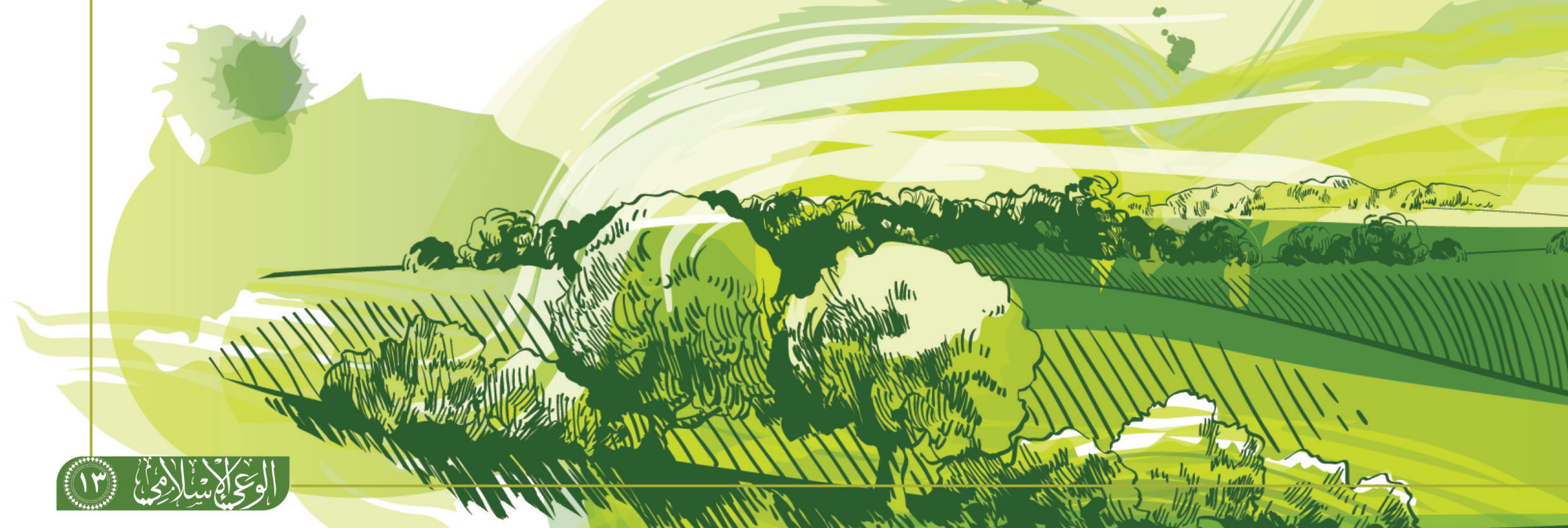
فيما يخص استخدام المنتجات الزراعية بالطب النبوي والطب البديل، تم استخراج الكثير من الأدوية في الطب النبوي والطب البديل من العديد من المنتجات الزراعية، كالبصل والثوم والزنجبيل والكمون وزيت الزيتون والسمسم وحبة البركة وغيرها، والمعلوم أن الطب البديل دوما ما يكون أكثر أمانا وأقل أضررا جانبية من الطب الحديث.

لذلك حث النبي ﷺ على التداوي بأحد أهم المنتجات الزراعية بذات المجال، وهي حبة البركة أو الحبة السوداء، لأن لها العديد من الفوائد في علاج العديد من الأمراض، حيث ذكرها النبي ﷺ في قوله: «إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا السأم»[١١].

وفي الحديث دلالة قوية على الانتفاع بالحبة السوداء في كل داء غير داء الموت، ومنها ما يصلح خلطها ببعض الأدوية، فيعم الانتفاع بها منفردة ومجموعة مع غيرها، وفي الحديث أيضا بيان واضح لفضل الحبة السوداء وما فيها من شفاء، والحث على التداوي بما أحله الله سبحانه وتعالى، على ألا يخرج ذلك عن التوكل على الله.

الهوامش

١ - أخرجه البخاري (٢٣٢٠)، ومسلم (١٥٥٣) باختلاف يسير.
٢ - صحيح مسلم (١٥٥٢).
٣ - الأربعون المنيرة في الأجور الكبيرة على الأعمال اليسيرة (ط ٣)، د - عيادة بن أيوب الكنسي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث (دبي) ٢٠٠١م، ص:٣٠٧.
٤ - رواه الطبراني في الأوسط.
٥ - أخرجه البخاري (١٤٧٠)، ومسلم (١٠٤٢).
٦ - ابن تيمية - مجموع الفتاوى (١٩٢/٣٠).
٧ - مسند الإمام أحمد (١٨٣/٣، ١٨٤، ١٩١).
٨ - رواه أحمد (١٢٥١٢) واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد (١/١٦٨).
٩ - أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) واللفظ له.
١٠ - أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٤٣١).
١١ - رواه البخاري (٥٦٨٨) واللفظ له - ومسلم (٢٢١٥).



سبوت عاما
مجلة كويتية شهرية جامعة
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الاستشهاد بالشعر عند الأصوليين (٣/١)

أ. د. محمود محمد الكبش
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى

كل من يطلع على كتب الأصوليين يلفت نظره كثرة استشهادهم بالشعر، واحتجاجهم به على مسائل أصول الفقه، وليس ذلك بغريب في الأصل؛ إذ إن هذا الفن -باتفاق من كتب فيه- مستمد من اللغة العربية، وقد علمت أن الشعر وعاؤها، وظرف معانيها.

وقد رأيت أنه لا يدعي أحد أن توظيف الشعر للاستشهاد به حكر على فنه الذي يتقنه، أو يقرأ فيه؛ بل كل يراه حاضرا في كثير جدا من العلوم الشرعية وغيرها؛ فالشعر -كما يقول الدكتور محمود محمد الطناحي (ت:١٩٩٩م)[١]- متعة الأديب، وذوق البلاغي، وحجة المفسر، وسند الأصولي، ودليل الفقيه، وشاهد النحوي، وميزان العروضي، ووثيقة المؤرخ، وخارطة الجغرافي.

أهمية اللغة العربية في الدرس الأصولي

قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله (ت:٢٠٤هـ): «ومن جماع علم كتاب الله: العلم بأن جميع كتاب الله إنما نزل بلسان العرب»[٢]. وقال أيضا: «وبلسانها نزل الكتاب، وجاءت السنة»[٣].

وقال عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني رحمه الله (ت:٤٧٨هـ): «ومن مواد أصول الفقه: العربية؛ فإنه يتعلق طرف صالح منه بالكلام على مقتضى الألفاظ، ولن يكون المرء على ثقة من هذا الطرف حتى يكون محققا مستقلا باللغة العربية»[٤].

وقد ظهرت أهمية اللغة العربية وعلاقتها بأصول الفقه، وعلوم الشريعة على وجه العموم في:

- أن الكتاب والسنة عربيان؛ فالقرآن الكريم إنما نزل بلغة العرب، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف:٢)، والرسول ﷺ من العرب، وهو ذو لسان عربي فصيح.

- أن معاني كتاب الله موافقة لمعاني كلام العرب، وظاهر كتاب الله ملائم لظاهر كلام العرب؛ ففي القرآن من الإيجاز والاختصار، والعام والخاص كما في كلام العرب.

وعلى هذا درس الأصوليون استمداد علم أصول الفقه؛ فقالوا: تستمد أصول الفقه من:

١- القرآن الكريم والسنة النبوية؛ وذلك أن هذين المصدرين هما أساس العلوم الشرعية كلها، فكل علم لا أصل له في الكتاب والسنة؛ فليس من علوم الشريعة.

٢- علم أصول الدين، وهو الذي يعبر عنه بعلم الكلام؛ وذلك أن العلم بالأدلة الإجمالية وصحة الاستدلال بها مبني على معرفة الله تعالى وصفاته، والعلم بصدق الرسول ﷺ فيما جاء به عن ربه.

٣- اللغة العربية: وذلك أن اللغة هي وعاء الكتاب والسنة، والكتاب نزل بلغة العرب، والسنة القولية جاءت بلسان الرسول العربي، والاستدلال بهما مبني على معرفة طرق العرب في الإفهام والفهم. ومن جملة أصول الفقه طرق دلالة الألفاظ على المعاني من عموم وخصوص، وإطلاق وتقييد، واشتراك وإجمال، ومنطوق ومفهوم، وحقيقة ومجاز.

قال الشافعي رحمه الله: «لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها»[٥].

ومن مظاهر أهمية اللغة العربية في الدرس الأصولي: اعتماد الأصوليين على الشواهد الشعرية في تقرير القواعد، وتعليل الترجيح والاختيار بها؛ من خلال إعمالها في إثبات كثير من مسلماتها اللغوية.

أولا- حقيقة الشاهد الشعري

الشاهد لغة: اسم فاعل من الفعل «شهد»، وهو أصل يدل على حضور، وعلم[٦].

ويطلق على معان متعددة؛ وقد نقل القرافي رحمه الله (ت:٦٨٤هـ) بعض هذا المعاني عند تعريفه للشهادة؛ فمنها: حضر، وأخبر[٧].

- ومنها: اللسان؛ كقولهم: لفلان شاهد حسن؛ أي: لسان مبين، وتعبير حسن[٨].

فهذه المعاني هي الأشهر في تعريف الشاهد لغة، ولعل أقربها هنا ما فيه معنى الحضور، والإخبار.

وأما الشاهد غير المضاف إلى معرف عند أهل اللغة فهو: كل قول -نثرا كان أو نظما- يستشهد به في إثبات قاعدة ما، أو المحاججة في قضية لغوية، من استعمال، أو تركيب؛ في عصر الاحتجاج.

وهو المعبر عنه في لسان القوم بـ: النقل، أو السماع.
- قال الأنباري (ت:٥٧٧هـ): «النقل؛ هو: الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح، الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة»[٩][١٠].

والشواهد التي يستشهد بها في العلوم اللغوية والشرعية متنوعة؛ منها: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وما نقل عن العرب غير المولدين؛ نثرا أو شعرا، ومنها الأمثال، والخطب، والمساجلات.

وليخرج كل ذلك قيد الشاهد هنا بكونه شاهدا شعريا، وإليك تعريفه لقبا مضافا.

تعريف «الشاهد الشعري» اصطلاحا

يمكن تعريفه لقبا مضافا بقولنا؛ هو: «منظوم كلام العرب الذي يستشهد به في إثبات قاعدة ما، أو محاججة في قضية لغوية.. في عصر الاحتجاج».

ومما يوضح ذلك هذا الشاهد في كتب النحو:

سيغنيني الذي أغناك عني
فلا فقر يدوم ولا غناء

فهذا الشاهد ترويه كتب اللغة، والنحو بدون نسبة، ومحل الاستشهاد «ولا غناء»، فإن أصل هذه الكلمة: «ولا غنى» بكسر الغين مقصورا، ولكن الشاعر مده حين اضطر لإقامة الوزن.

وبه استشهد الكوفيون على صحة مد المقصور.

وقال قوم: إن «غناء» في البيت بكسر الغين ممدودا مصدر غانيته غناء مثل: راميته رماء، إذا فاخرته في الغنى، بكسر الغين وبالقصر.

وقال آخرون: إنه بفتح الغين؛ من قولهم: هذا رجل لا غناء عنده، فيكون ممدودا أصالة.

والظاهر: أن الشاعر أراد «الغنى» ضد الفقر؛ لأنه قابله به، والتأويلات الأخرى انتصار للبصريين الذين يمنعون مد المقصور[١١].

فأنت ترى كيف سيق الشاهد هنا للترجيح بين الأقوال، وقد يأتي لتفسير لفظة غريبة، أو غير ذلك.

ثانيا- الفرق بين الاستشهاد والتمثيل والاحتجاج

لما كان استعمال هذه الألفاظ الثلاثة حاصلا في الدرس الأصولي عند ذكر الشاهد الشعري، كان لا بد من ذكرها، والتفريق بينها بما يميز بعضها عن بعض.

كأن يقول أحدهم: ومثال هذه القاعدة كذا، أو: ويستشهد لهذه القاعدة بقول فلان، وكقولهم: واحتجوا لهذا القول بما قال فلان.. وهكذا.

ولبيان الفرق بين هذه الألفاظ الثلاثة؛ لا بد من تعريف كل لفظة، وبيان ما سيقت له؛ (أي: وظيفتها).

- أما الاستشهاد هنا؛ فهو: طلب الإتيان بالشعر الذي يستشهد به في إثبات قاعدة ما، أو محاججة في قضية لغوية؛ في عصر الاحتجاج.

- وأما التمثيل؛ فهو: ما يذكر عند القواعد للإيضاح، والإفهام، وإن كان مصنوعا، أو ممن لا يحتج بقوله.

ولذا فكل ما يصلح أن يكون شاهدا يصلح أن يكون مثالا، وليس العكس[١٢].

- وأما الاحتجاج؛ فهو الاستشهاد من حيث تقديم الدليل على إثبات قاعدة ما؛ كما مضى.

فقد يستخدم النحويون، والأصوليون، والمفسرون، ومن يعتمد الشاهد الشعري في الاستدلال والتعليل تارة لفظة «الاستشهاد»، وأخرى لفظة «الاحتجاج» عند ذكر الشاهد؛ ولا مانع من ذلك لتطابق وظيفة اللفظين.

إلا أنه قد يكون للفظة الاحتجاج ما ليس للاستشهاد من القوة عندما يستدل بالشاهد الشعري في مقام الجدال، واحتدام المناقشة بين الخصمين؛ فالتعبير هنا أولى بهذا اللفظ[١٣].

ثالثا- أنواع الشواهد الشعرية

الذي يعنينا هنا على وجه الخصوص هو الشاهد الشعري؛ ولكي تكون حقيقة الاستشهاد بينة؛ كان لا بد من بيان محدد لأنواع الشواهد الشعرية؛ وتقسيمها باعتبارات متعددة؛ وهي:

الأول- أنواعها باعتبار المصدرية؛ وهي ثلاثة أقسام:

١- الاستشهاد بالقرآن الكريم.

٢- الاستشهاد بالحديث الشريف.

٣- الاستشهاد بكلام العرب.

الثاني- أنواعها باعتبار الاتفاق والاختلاف؛ وهي قسمان:

١- الشواهد المتفق على الاستشهاد بها؛ وهي الشواهد الشعرية التي لم يختلف العلماء في الاستشهاد بها؛ وذلك لتوافر الشروط المعتبرة فيها، والضوابط المقررة عند أهل اللغة والنحو.

٢- الشواهد المختلف في الاستشهاد بها؛ وهي التي اختلف العلماء في الاحتجاج بها، لفوات شرط، أو وجود مانع.

الثالث- أنواعها باعتبار موضوعها؛ وهي أقسام؛ منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

١- الشواهد اللغوية.

٢- الشواهد النحوية.

٣- الشواهد الصرفية.

٤- الشواهد الصوتية.

٥- الشواهد البلاغية.

٦- الشواهد الأدبية.

الرابع- أنواعها باعتبار الإضافة إلى فن بعينه؛ وهي أقسام؛ منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

١- الشواهد في علم النحو.

٢- الشواهد في علم الفقه.

٣- الشواهد في علم مقاصد الشريعة.

٤- الشواهد في علم التفسير.

الخامس- تقسيمها باعتبار الخصوص والاشتراك؛ وهي قسمان:

١- الشاهد المستدل به في موضوع خاص.

٢- الشاهد المستدل به في أغراض متعددة؛ كالاستشهاد ببيت معين على معنى لغوي، وآخر نحوي، وثالث بلاغي، ورابع فقهي.

السادس- أنواعها باعتبار الغرض، والوظيفة:

وهي ثلاثة أقسام:

١- للاستشهاد.

٢- للتمثيل.

٣- للاحتجاج.

رابعا- حجية الاستشهاد بالشعر على المسائل الأصولية

دل على جواز الاستشهاد بالشعر أمور؛ منها:

١- اشتراط العلماء ذلك؛ فقد روى عنه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت:٤٦٢هـ) في كتاب «الفقيه والمتفقه» له: «لا يحل لأحد يفتي في دين الله إلا رجلا عارفا بكتاب الله: بناسخه ومنسوخه، وبمحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيه ومدنيه، وما أريد به، وفيما أنزل، ثم يكون بعد ذلك بصيرا بحديث رسول الله ﷺ، وبالناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيرا باللغة، بصيرا بالشعر، وما يحتاج إليه للعلم والقرآن»[١٤].

٢- الوقوع، فقل أن يخلو كتاب في الأصول من الاستشهاد بالشعر، والأصوليون في ذلك بين مقل ومكثر، وقد ساروا على ما كان عليه أهل اللغة، فالمسائل التي تحتاج في إثباتها إلى الشعر أوردوا فيها دليلها، وأعملوا فيها ما ثبت لها.

غير أن الأصوليين -كما ثبت عندي- لم يلتزموا كثيرا بالشروط والضوابط التي وضعها أهل اللغة، وإنما كان قصدهم -في مواضع عديدة- الاستئناس باستعمال الشعراء لما رجحوه من معنى لفظة، أو جواز استعمال لتركيب بعينه[١٥].

٣- أن القرآن نفسه وجه المستنبطين لأحكامه، والمفسرين لكلامه إلى الاستشهاد بالشعر في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ (إبراهيم:٤)، ولسان قومه العربية، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ (الشعراء:١٩٥)، وغيرها من الآيات في نفس المعنى[١٦].

ضوابط الاستشهاد بالشعر عند الأصوليين

لا يخفى على المتتبع للشواهد الشعرية في كتب الأصوليين أنها مستمدة في الغالب من كتب أهل اللغة والنحو، وقل أن تجد شاهدا قد انفرد الأصوليون بالاستشهاد به.

وبعد جولة في الشواهد الشعرية عند الأصوليين، بت مقتنعا أن الضوابط، وإن التزم بها كثير من اللغويين، فإن الأصولي -لخصوصية ما يستشهد له- لم يلتزم بها كلها، بل هي معتمدة في الجملة.

فباختصار أقول: الشعر ديوان العرب؛ وهو سجلهم يحفظ لغتهم، وأمجادهم، ومفاخرهم، فكان أحد مصادر الاستشهاد. إلا أن ضعف اللسان العربي، وظهور اللحن، وبروز كثير من الدخيل على اللغة؛ جعل العلماء يحددون أسسا، ومعايير؛ يمكن اختصارها في ثلاثة شروط؛ هي:

أولها- شرط الزمان

نص غير واحد من الباحثين على أن اللغويين والنحاة اعتمدوا الاستشهاد بمنثور كلام العرب إلى منتصف القرن الثاني الهجري تقريبا في المدن والحواضر، وإلى نهاية القرن الرابع الهجري في أماكن البدو[١٧].

أما في الشعر؛ فقد قسموهم على طبقات أربع[١٨]:

الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليون.

الطبقة الثانية: المخضرمون.

الطبقة الثالثة: المتقدمون، ويقال لهم: الإسلاميون.

الطبقة الرابعة: المولدون، ويقال لهم: المحدثون.

- فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما إجماعا[١٩].

- وأما الطبقة الثالثة؛ فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها[٢٠].

- وأما الطبقة الرابعة؛ فمنهم من لم يجوزوا الاستشهاد بشعرها مطلقا[٢١]، ومنهم من جوز بشرط، ومنهم من فرق بين مجالات الاستشهادات؛ فجوز في المعاني دون غيرها[٢٢].

ثانيها- شرط المكان

وهو ما يعبر عنه -كذلك- بعض الباحثين بشرط البداوة[٢٣].

وضابط هذا الشرط: معرفة قرب أصحاب هذه الشواهد أو بعدها من الأمم المجاورة، فاعتمدوا كلام القبائل في قلب جزيرة العرب، وردوا كلام القبائل التي جاورت الأعاجم، ولمثل هذا نماذج عند اللغويين[٢٤].

فعلى قدر توغل القبيلة في قلب الجزيرة تكون فصاحتها.

ثالثها- شرط معرفة القائل

قال عبدالقادر بن عمر البغدادي (ت:١٠٩٣هـ): «لا يجوز الاحتجاج بشعر، أو نثر لا يعرف قائله».

ثم قال: «وعلة ذلك: مخافة أن يكون ذلك الكلام مصنوعا، أو لمولد، أو لمن لا يوثق بكلامه»[٢٥].

وعلى هذا؛ فإن اعتبار هذا الشرط يأتي منطقيا بعد اشتراط ما مضى؛ إذ كيف يعرف زمانه، أو مكانه.. إن جهل قائله؟![٢٦].

من استشهد من السلف بالشعر

حاولت جاهدا أن أجد من استشهادات الصحابة الشعرية على المسائل الفقهية الموضحة لمنهجهم الأصولي، إلا أن قلة الشواهد الشعرية عموما حالت دون ذلك.

بل إن أكثر الموجود إنما هو من قبيل تفسير القرآن الكريم اعتمادا على شعر العرب، واستشهادا به.

ومع هذا؛ فقد أرشدوا الناس إلى تعلم الشعر، والاستشهاد به عند خفاء المعنى، أو طلب الحجة عليه.

- فها هو عمر رضي الله عنه يقول للناس: «أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم؛ فإنه فيه تفسير كتابكم»[٢٧].

- وكان ابن عباس رضي الله عنه إذا سئل عن عربية القرآن أنشد الشعر؛ فعن عكرمة قال: «كان ابن عباس إذا سئل عن الشيء من القرآن أنشد أشعارا من أشعارهم»[٢٨].

- ولما سئل عن قوله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ (القلم:٤٢)؛ قال: «إذا خفي عليكم شيء من القرآن، فابتغوه من الشعر؛ فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:

اصبر عناق إنه شر باق قد سن قومك ضرب الأعناق
وقامت الحرب بنا على ساق[٢٩]

قال ابن عباس: هذا يوم كرب وشدة»[٣٠].

وغير ذلك كثير.

والمتتبع لهذه الشواهد يدرك اهتمام السلف بالشاهد الشعري، وأثره عند اختلافهم في المعاني المفردة، أو خفائها على بعضهم؛ وهو أمر لا يحتاج إلى تأمل كثير، ولا استدلال عليه طويل.

الهوامش

١- محقق «كتاب الشعر» لأبي علي الفارسي؛ في المقدمة ص:١٤.
٢- «الرسالة»، ص:٤٠.
٣- «الرسالة»، ص:٥٣.
٤- «البرهان» (٧٨/١).
٥- «الرسالة»، ص:٥٠.
٦- «مقاييس اللغة» (٢٢١/٣)، «الصحاح» للجوهري؛ مادة «شهد».
٧- «الفروق» للقرافي (١٠/١) بتصرف يسير، ويراجع: المصادر اللغوية التالية.
٨- «السان العرب» لابن منظور (٢٣٩/٣) مادة «شهد».
٩- «لمع الأدلة»، ص:٨١، تحقيق الأفغاني.
١٠- وعرفه السيوطي (ت:٩١١هـ) بتعريف يعد توضيحا لتعريف ابن الأنباري -السابق- حيث بين فيه مصادر السماع إجمالا، «الاقتراح»، ص:٤٨.
١١- ينظر: «الأشموني» (١١٠/٤)، و«الإنصاف»، ص:٧٤٧، و«التصريح» (٢٩٣/٢).
١٢- «الشواهد والاستشهاد» للعلوان، ص:٢١، جامعة بغداد، ط: ١٩٧٦م.
١٣- «نقد النثر» لابن زياد؛ تحقيق: طه حسين، والعبادي ص:١١٧.
١٤- ينظر: «الفقيه والمتفقه» (١٠٤٩/٣٣٢/٢).
١٥- يراجع كتاب: «توظيف الشواهد الشعرية عند الأصوليين» للدكتور عبدالله البشير.
١٦- «الموافقات» (١١٦/١).
١٧- ينظر: «أصول النحو العربي»، محمد عيد، ص:١٢٢، «ابن جني النحوي»، د. فاضل السامرائي، ص:١٣٦، «أصول النحو»، محمد دراز، ص:١٢٥.
١٨- ينظر: «العمدة في آداب الشعر ونقده» للقيرواني (١٣٣/١)، «خزانة الأدب» للبغدادي (٥/١-٦)، «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٩٩/١).
١٩- «خزانة الأدب» للبغدادي (٥/١).
٢٠- المصدر السابق.
٢١- بل نقل السيوطي الإجماع على ذلك كما في «الاقتراح في أصول النحو وجدله»، ص:١٨١، وهو منقوض بالاختلاف.
٢٢- وهو أنه يستشهد بكلام من يوثق به منهم، واختاره الزمخشري، ينظر: «خزانة الأدب» (٥/١).
٢٣- هو محمد عيد؛ في «الاستشهاد والاحتجاج باللغة» ص:٢١.
٢٤- ينظر: «الخصائص» (٥/٢)، وينظر أيضا تأصيلا للفارابي في «الحروف» ص:١٤٧.
٢٥- «خزانة الأدب» (٣٧/١).
٢٦- وللزركشي كلام في هذا نفيس فلينظر في «البحر المحيط» (٤٠٥/١).
٢٧- سبق تخريجه، ص:٢٥.
٢٨- رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤٧٤/١٠)؛ برقم (٣٠٦٠٥).
٢٩- أخرجه الطستي في مسائل عن ابن عباس، ينظر: «الدر المنثور» (٢٥٥/٦)، ولم أجد للبيت قائلا.
٣٠- أسنده البيهقي في «الأسماء والصفات» (١٨٣/٢)؛ برقم (٧٤٦).

محمود شاكر محمود
كاتب وباحث

د. صالح العجيري
صفحة مضيئة في سماء الكويت والعالم

يزخر العالم العربي بالكثير من العلماء والمفكرين والنوابغ الذين تركوا بصمة في عدة مجالات، لا سيما في مجال العلوم والفلك. وهنا عندما نتحدث عن موضوع مهم مثل هذا لا بد أن تقفز بأذهاننا سيرة عطرة طيبة معطاءة، لعلم من أعلام الكويت، الدكتور صالح العجيري إن اسم الدكتور صالح العجيري يرتبط ارتباطا وثيقا بعلم الفلك والفضاء وسائر العلوم الكونية، فعلى مدار سنوات طويلة من الدراسة والبحث والسعي نحو العلم، أصبحت سيرة الدكتور مرجعا أساسيا للكويت والخليج والعالم العربي والإسلامي.

بزغت أول ومضة في سمائنا بالعام ١٩٢٠م عندما ولد صالح العجيري وأقبل على الحياة، حيث كانت البيئة المحيطة بذلك الوقت تتسم بالبساطة، وعلى الرغم من ذلك كان للدكتور صالح العجيري آنذاك حب وعشق كبير للسماء والنجوم، فقد كان يتأملها ويحاول أن يشبع فضول ذلك الطفل المنبهر بروعة الخلق من هبوب الرياح وصوت الرعد وسقوط زخات المطر. فما بين مكوثه في البادية وبين أسفاره إلى الاحساء للدراسة ازداد حبه وولعه بالعلم كونه ملما في الرياضيات، على الرغم من صعوبة الحصول على المعلومات أو حتى التعلم آنذاك فقد كبرت معه رغبة التعلم وفهم هذه العلوم؛ قصد العجيري العديد من الدول والمناطق طلبا العلم مثل بغداد وبلاد الشام وبيروت والقاهرة، فاستقر في مدينة المنصورة بمصر واستكمل بها دراسته الفلكية حتى نال الشهادة.
ولم يتوقف طلبه للعلم بل اتسعت رقعة مقاصده لتشمل الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وغيرها الكثير من الدول التي أثرت حصيلته العلمية.

تقويم العجيري

لا شك بأن أول ما يطرأ على الأذهان بمجرد ذكر اسم هذا العالم الفلكي هو تقويم العجيري، الذي أصبح الآن واحدا من المراجع الفلكية المهمة التي يقصدها الناس في الكويت ودول الخليج وحتى الدول العربية، لما يقدمه هذا التقويم من محتوى علمي، وديني وثقافي يثري كل جوانب الحياة عند الإنسان.
فقد طرأت أول مرة فكرة إنشاء هذا التقويم عند د. صالح العجيري في بداياته، حيث كان آنذاك التقويم عبارة عن محاولات

فهم طبيعة الأشياء وذلك من خلال استخدام وترقيم الأيام والتواريخ حسب التقويم الهجري، وعمل على تطويره حتى عام ١٩٥٠ عندما ظهر بشكله الأصلي واستمر إلى يومنا هذا. يقوم تقويم العجيري على ذكر المعلومات الرئيسية المهمة مثل اليوم والتاريخ (الميلادي والهجري) مواقيت الصلاة وشروق وغروب الشمس، حالة البحر وأحوال الطقس. وكون د. صالح العجيري محبا للفن والثقافة، فمن خلال عمله السابق في عدة مجالات منها التمثيل والأعمال الأخرى في الجهات الحكومية، اكتسب العديد من الخبرات والمعلومات وزادها بقراءاته واطلاعه على الثقافة والفن، وهنا نجد بكل صفحة من صفحات التقويم يذكر فيها إما معلومات عامة، طرفة أو أحداثا عالمية مهمة.

وبهذا أصبح تقويم العجيري واحدا من المصادر المهمة التي تقصدها الدول والعامة من الشعوب في استقصاء كل ما يخص الفلك والمواقيت الدينية وغيرها من المعلومات المهمة.

مرصد العجيري

حب الدكتور صالح العجيري للعلوم والفلك وشغفه في نشر العلوم التي يعرفها للعامة حتى يستفيدوا منها لم يتوقف عند نقطة معينة، ففكرة إنشاء مرصد العجيري كانت واحدة من الأفكار التي تشغله ولم يبخس بلحظة إلى أن حققها بافتتاح المرصد في الكويت عام ١٩٨٦م، وذلك عندما سافر إلى الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا لشراء المعدات اللازمة على نفقته الخاصة حتى ينشئ المرصد، ومنذ ذلك الوقت أصبح المرصد منبعا مهما للدولة، حيث منه تؤخذ أحوال الطقس وإثبات روية هلال رمضان والعيد، وحتى بعد وفاته وإلى يومنا هذا لا يزال المرصد قائما بالعطاء من خلال تقديمه كل المعلومات المهمة.

بالرغم من عمله في مجال الفلك وشغفه في اكتساب العلم، كان صالح العجيري رجلا لا ينفك عن مساعدة الآخرين في اكتساب العلم ونشر العلوم بين الناس، فقد قدم طوال حياته العديد والكثير من الندوات التي يتحدث فيها عن الفلك والعلوم والدين وتاريخ الكويت والثقافة في الكويت والعالم العربي.

كما أنه قد قام بتدريس علوم الفلك والمواقيت لطلبة دار القرآن بالإضافة إلى تدريسه في قسم الفيزياء بجامعة الكويت من خلال إلقاء محاضرات علمية للطلبة.

انطفاء الوهج

قدم الدكتور صالح العجيري لسبعة عقود كاملة مسيرة محملة بالعطاء والعلم والمعرفة، جالت كل أرجاء العالم، فقد كرم الدكتور طوال مسيرته في العديد من دول الخليج والدول العربية والإسلامية وحتى الجامعات العريقة في العالم، تقديرا لمسيرة كبيرة اغتنمها العجيري في خدمة البشرية والدين.

فقد رحل الدكتور صالح العجيري ولكنه ظل حيا إلى يومنا هذا في ذاكرة الكثيرين من خلال نتاجه العلمي والمعرفي والثقافي الذي تركه، المتمثل في تقويمه ومرصده ومكتبته، والعديد من المؤلفات الأدبية والدينية والعلمية التي لا تزال تنشر وتدرس إلى هذا اليوم.

من مؤلفاته

١- تقويم القرون لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية.
٢- كيف تحسب حوادث الكسوف والخسوف.
٣- خريطة ألمع نجوم السماء.
٤- الاهتداء بالنجوم.
٥- مذنب هالي.
٦- دروس فلكية للمبتدئين.
٧- المواقيت والقبلة - قواعد وأمثلة.
٨- التقويم الهجري وكيف حسب.
٩- علم الميقات.
١٠- التقاويم قديما وحديثا.
١١- جدولة الوقت.
١٢- دورة الهلال.
١٣- تاريخ الكويت يوما بيوم.

الأبحاث الفلكية

- التحقيق العلمي لموعد طلوع الفجر الصادق.
- استخدام الحسابات الفلكية في إثبات الرؤية الشرعية للهلال.
- الجدولة الشاملة للمواقيت في شتى بقاع الأرض.
- المناخ والمواسم الزراعية في الكويت.
- الخطوط والدوائر.
- أهمية ميل الشمس.
- مداخلات الزمن.
- وسائل تعيين الجهات.
- تحويل التواريخ المختلفة.
- مذنب هالي.. حدث كوني وانعكاس انسيابي.
- رصد الكواكب والنجوم.

المصادر

- الموقع الرسمي لصالح العجيري https://alojeiri.com/
- عالم الفلك يطوي صفحة مضيئة https://www.aljazeera.net

صابر علي عبدالحليم مصطفى
إمام وخطيب -دكتوراه الفلسفة الإسلامية



كيف تكون محبوبا؟

لأجل أن تكون محبوبا عند الله، وعند الناس، تعرف على أصل كل محبوب، وهو الله عز وجل، فإذا أحببت الله أحبك الله، وحب الله لك أن تأتي ما يحب، وتجتنب ما يكره من المعاصي والذنوب، فما يحبه الله الأعمال الصالحة، كالصلاة، والصيام والزكاة، والحج، وسائر أعمال البر والخير من التصدق على الفقراء والمساكين، وصلة الأرحام، وإكرام الجار، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ (مريم:٩٦)، وفي الحديث، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»[١].

تودد إلى الناس، ولو بالشيء القليل من الأعمال الصالحة؛ فإن المسلم لا يدري أي الأعمال الصالحة يقبله الله، ففي الحديث قال الرسول ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[٢]، اسع في قضاء حوائج الناس؛ فالسعي في قضاء حوائجهم يدخل السرور عليهم، ويجعلهم يحبونك، ففي الحديث: «كان رسول الله ﷺ، يكثر الذكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة، والمسكين فيقضي له الحاجة»[٣].

وما يجلب المحبة أن تسأل عن غائبهم، وتتفقد أحوالهم، وتزور مريضهم، وتطعم جائعهم، وتساعد فقيرهم خاصة الأقارب

والأرحام، فتقدمهم في الصدقات على غيرهم، ففي الحديث: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى القريب ثنتان: صدقة وصلة»[٤]، وعندما أراد أبو طلحة أن يتصدق ببستانه بيرحاء، قال له ﷺ: «أرى أن تجعلها في الأقربين، فقسمها بين أقاربه وبني عمه»[٥]. وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني. قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك، فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»[٦].

ومما يجلب المحبة أن تعرف ما لك، وما عليك من حقوق وواجبات، فتعرف حق الجوار، وآداب البيع والشراء، فلا تغش ولا تخادع، وتعرف حقوق الأهل والأقارب؛ فتفرح لفرحهم، وتحزن لحزنهم، ففي الحديث، أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»[٧].

وعندما تعرف للناس حقهم؛ فإنهم يحبونك ويقدرونك؛ لأن النفس تميل إلى من يحترمها ويقدرها، ويعلي منزلتها. لا تنظر إلى ما في أيديهم نظرة حسد وطمع؛ فالنفس تكره من ينازعها النعمة؛ وتنفر منه؛ لأنها مجبولة على حب النعم؛ فإن كان لابد من النظر فلتكن عند نظرك، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (الكهف:٣٩).

ازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس، وعش بالقناعة والرضا، واجتنب قبائح الأفعال والأقوال يحبك الله، ففي الحديث، عن سهل الساعدي، قال: أتى النبي ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله، وأحبني الناس. فقال رسول الله ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس»[٨]. قال أعرابي لأهل البصرة: من سيد هذه القرية؟ قالوا: الحسن. قال: بم سادهم؟ قال: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم.

فإذا أردت محبة الناس، فحب لأخيك ما تحبه لنفسك من النعم، فإذا أردتها لك، فلابد وأن ترضاها لغيرك؛ فالنعمة أعرف بصاحبها من صاحبها.

لا تتظاهر بقوتك عند ضعفهم، ولا بغناك عند فقرهم، ولا بعزتك عند زلهم، ولا بصحتك عند مرضهم، ولا بشبعك عند جوعهم؛ ولا بأمنك عند خوفهم؛ لأجل أن ذلك يحزنهم. كن لينا سهلا؛ فالنفس تميل إلى اللين السهل، ففي الحديث، قال رسول الله ﷺ: «حرم على النار كل هين، لين سهل، قريب من الناس»[٩]، لا تكن بخيلا، بل كن كريما، ففي الحديث، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار، والبخيل بعيد من الجنة بعيد من الناس، قريب من النار، والجاهل السخي أحب إلى الله عز وجل من عابد بخيل»[١٠]، والكرم من أسباب محبة الناس لك، ففي الحديث، عن صفوان بن أمية قال: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي[١١]، قال الحسن: من بذل درهما أحبه الناس طوعا وكرها[١٢].

كن دائم السؤال عنهم بالزيارة والاتصال المستمر، سل عن غائبهم، وعد مريضهم، ففي الحديث، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من عاد مريضا، أو زار أخا له في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلا»[١٣]، إن محبة الناس بإخلاص تجمع بين ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة؛ فزيارتك لأخ لك في الله تجمع بين الثناء الحسن في الدنيا، ومحبة الله عز وجل لك، ففي الحديث، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال: أين تريد؟قال: أريد أخا لي في هذه القرية، قال: هل لك من نعمة تربها؟قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك، كما أحببته فيه[١٤].

ومما يجلب محبة الناس أن تعمل على رقيهم وأمنهم، فتعلم جاهلهم، وتداوي مريضهم، وتطعم جائعهم، وتنصح لهم، وتصحح أخطاءهم، وتسمع لهم عند الحديث، وتشكرهم على حسن صنيعهم ومعروفهم، ففي الحديث، قال ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»[١٥]، ومن أسباب المحبة أن تشجعهم على فعل الخير، في كل عمل صالح يقربهم من الله عز وجل، وتنهاهم عن المنكر، وتعرفهم بالحلال والحرام. وعند نجاحهم هنئهم، وارفع من روحهم المعنوية؛ فهم في حاجة إلى رد الفعل أن يجدوا من يهنئهم ويشجعهم. خاطبهم على قدر عقولهم، وافش السلام بينهم، ففي الحديث، عن أبي هريرة، قال: رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[١٦]، لا تقابل السيئة بالسيئة، بل قابل السيئة بالحسنة، وادفع دائما بالتي هي أحسن، وكن كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت:٣٤)؛ فالكلمة الطيبة تكسب محبة الناس، وتجمع القلوب المتفرقة؛ فهي كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. قال أحد الصالحين: لا يكسب محبة الناس في هذا الزمان إلا رجل خفيف المؤونة عليهم، وأحسن القول فيهم، وأطاب العشرة معهم[١٧].

كن مرحا معهم؛ فرسولنا الكريم ﷺ كان فكاهيا، فذات مرة جاءته امرأة عجوز تقول له: يا رسول الله، ادع الله لي أن يدخلني الجنة. فقال لها: يا أم فلان، إن الجنة لا يدخلها عجوز، وانزعجت المرأة وبكت ظنا منها أنها لن تدخل الجنة، فلما رأى ذلك منها بين لها قصده أن العجوز لن تدخل الجنة عجوزا، بل ينشئها الله عز وجل خلقا آخر، ففي الحديث، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز إنها يومئذ شابة» إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ (الواقعة:٣٥)[١٨].

ومما هو جدير بالذكر في جلب محبة الناس حلاوة اللسان، فقد قيل: ثلاثة لا يستوحشون في غربة: حلو اللسان الكثير مخارج الرأي، والفقيه العالم، والبطل الشجاع. ومع حلاوة اللسان حفظه من الغيبة والنميمة، ففي الحديث، عن عقبة بن عامر، قال: لقيت رسول الله ﷺ فقال لي: «يا عقبة بن عامر، أملك لسانك، وابك على خطيئتك، وليسعك بيتك»[١٩]، ولأجل أن تدوم المحبة بينك وبين الناس؛ تودد إليهم من حين لآخر بالهدايا الجميلة، والكلمات الطيبة، والمجالسة والمسامرة، والابتسامة الصادقة، ففي الحديث، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «تهادوا؛ فإن الهدية تذهب وحر الصدر، ولا تحقرن جارة جارتها، ولو شق فرسن شاة»[٢٠]، احترم عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم ومذاهبهم، فلا تختلف مع غيرك اختلاف شر في أمور فرعية الأصل أنها رحمة وسعة وثروة.

وما يمثل أهمية كبيرة في

محبة الناس الاهتمام بالجانب المادي المتمثل في جمال المظهر، والنظافة الشخصية؛ فقد كان النبي ﷺ حسن الهيئة، جميل المظهر، ففي الحديث، عن أنس بن مالك قال: «ما شممت عنبرا، ولا مسكا، ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله ﷺ، ولا مسست شيئا قط ديباجا، ولا حريرا ألين مسا من رسول الله ﷺ»[٢١].

إن محبة الناس لك تعد مكسبا عظيما؛ فحافظ عليها بالعلاقات الطيبة؛ إذ على أساسها تقام جسور من الود والحب التي تسهل قضاء المصالح والحاجات. إن محبة الله عز وجل هي أصل كل محبة، فلولا الله ما عرفنا الحب. تخلق بالود والكرم واللطف مع الناس؛ حتى تكون محبوبا، فالله ودود كريم لطيف.

الهوامش

١- أخرجه البخاري، ج٤، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، حديث رقم (٣٢٠٩)، ص:١١١.

٢- أخرجه مسلم، ج٤، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، حديث رقم (٢٦٢٦)، ص:٢٠٢٦

٣- أخرجه النسائي، ج٣، حديث رقم (١٤١٤)، ص:١٠٨.

٤- أخرجه النسائي، ج٥، حديث رقم (٢٥٨٢)، ص:٩٢.

٥- أخرجه البخاري، ج٤، كتاب: باب إذا وقف أرضا ولم يبين الحدود فهو جائز، وكذلك الصدقة، حديث رقم (٢٧٦٩)، ص:١١.

٦- أخرجه مسلم، ج٤، كتاب :البر والصلة والآداب، باب: فضل عيادة المريض، حديث رقم (٢٥٦٩)، ص:١٩٩٠.

٧- أخرجه مسلم، ج٤، كتاب: السلام، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام، حديث رقم (٢١٦٢)، ص:١٧٠٥.

٨- أخرجه ابن ماجه في سننه، ج٢، كتاب الزهد، باب: الزهد في الدنيا، حديث رقم (٤١٠٢)، ص:١٢٧٣

٩- أخرجه أحمد في مسنده، ج٧، حديث رقم (٣٩٣٨)، ص:٥٢.

١٠- أخرجه الترمذي في سننه، ج٤، حديث رقم (١٩٦١)، ص:٣٤٢.

١١- أخرجه مسلم، ج٤، كتاب: الفضائل، باب: ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه، حديث رقم (٢٣١٣)، ص:١٨٠٦.

١٢- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: الأصفهاني، ج١، ص٢٩٦.

١٣- أخرجه الترمذي في سننه، ج٤، حديث رقم (٢٠٠٨)، ص:٣٦٥.

١٤- أخرجه مسلم، ج٤، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: في فضل الحب في الله، حديث رقم (٢٥٦٧)، ص:١٩٨٨.

١٥- أخرجه الترمذي، ج٤، حديث رقم (١٩٩٥)، ص:٣٣٩.

١٦- أخرجه مسلم، ج١، كتاب: الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، حديث رقم (٥٤)، ص:٧٤.

١٧- حلية الأولياء، الأصفهاني، ج٩، ص:٣٧٦.

١٨- البعث والنشور للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ه، ج١، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، الناشر: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص:٢١٧.

١٩- أخرجه أحمد في مسنده، ج٢٨، حيث رقم (١٧٤٥٢)، ص:٦٥٤.

٢٠- أخرجه الترمذي، ج٤، حديث رقم (٢١٣٠)، ص:٤٤١.

٢١- أخرجه مسلم، ج١، كتاب: الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، حديث رقم (٥٤)، ص:٧٤.

د. السنوسي محمد السنوسي
دكتوراه في الدراسات الإسلامية

الإسلام والفضاء.. دلالات حضارية

حينما تنزل الإسلام فإنه جاء برؤية متكاملة في الاعتقاد والسلوك، وفي الفكر والعمل؛ وجعل المسلمين يتعاملون بمنظار جديد في مختلف قضايا العقيدة والاجتماع والعلوم؛ حتى تشكل إنسان جديد على هدي من السماء: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ (المائدة:١٥-١٦).

وهذه الرؤية الجديدة التي جاء بها الإسلام شكلت معارف المسلمين، ليس فيما يتعلق بالكتاب العزيز فحسب، وما تفرع عن التعامل معه من علوم في العقيدة والفقه والتفسير وغير ذلك؛ وإنما أيضا فيما يتعلق بعلوم الكون والحياة؛ بحيث أصبح المسلمون ينظرون للحياة والأحياء نظرة مغايرة عن تلك التي كانت سائدة فيما سبقهم من حضارات، وبحيث أصبح لديهم منظور متناسق في النظر للكتاب المقروء (الوحي وعلومه) وللكتاب المنظور (الكون ومعارفه)؛ إيمانا بأن كلا الكتابين من عند الله سبحانه، منزل الكتاب وخالق الأكوان؛ قال تعالى عن الكتاب الأول/الوحي: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (الشورى:١٧)، وقال عن الكتاب الثاني/الكون: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٩).

وهذا التوحيد في الرؤية للتعامل مع الكتابين المقروء والمنظور، بجانب ما تضمنه القرآن الكريم من تنبيهات إلى ظواهر الخلق، لتأمل ما فيها من دلالات إيمانية وحقائق علمية؛ كل ذلك دفع المسلمين للإقبال على ظواهر الكون بروح تجعل العلم سبيلا للإيمان، وتذهب إلى أبعد مدى ممكن في استكشاف حقائق الكون والتعامل معها من منطلق التسخير والتعمير: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى

﴿سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾ (الجاثية:١٢-١٣).

كون يدفع إلى الإيمان

وأول ما نلاحظه ونحن نتحدث بصفة عامة عن الرؤية الجديدة التي أرساها الإسلام عن الكون بجميع مظاهره وظواهره، تلك الحقيقة التي قررها الإسلام حين جعل الكون سبيلا للإيمان، وجعل التأمل في حقائقه طريقا للتعرف على الله تعالى، وإفراده بالعبودية، والإقرار بقدرته المطلقة، وقيوميته على السماوات والأرض وما فيهن؛ قال سبحانه عن صفات المؤمنين، أولي العقول والأفهام: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ (آل عمران: ١٩٠-١٩١).

فالكون بما فيه من شمس وقمر لا يتخلفان، ومن انضباط لا ينخرم، ومن إحكام بين أجرامه لا يقبل زيادة ولا نقصانا؛ إنما يدل على أن كل شيء مخلوق بقدر، وأن لا مكان للصدفة ولا العشوائية فضلا عن العبثية والعدمية: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٩﴾ (الدخان:٣٨-٣٩).

وقد شهد علماء الغرب المنصفون على حقيقة أن الكون بما فيه من انتظام واتساق، دال على انتفاء الصدفة والعشوائية، وداع إلى الإيمان بالله تعالى والتعرف على علمه وقدرته. وقد ألف الأمريكي كريسي موريسون كتابا عن ظواهر الكون المتنوعة وحقائقه الثابتة، وجعل عنوانه «العلم يدعو للإيمان»، ويا له من عنوان يختصر الكثير مما يمكن أن يقال ويملأ آلاف الصفحات!

يقول موريسون: «إن حجم الكرة الأرضية وبعدها عن الشمس، ودرجة حرارة الشمس وأشعتها الباعثة للحياة، وسمك قشرة الأرض وكمية الماء، ومقدار ثاني أوكسيد الكربون، وحجم النتروجين، وظهور الإنسان وبقاءه على قيد الحياة؛ كل هذا يدل على خروج النظام من الفوضى، وعلى التصميم والقصد»[1].

ويبين موريسون أن العلم فيما كشفه عن حقائق الكون بما فيه ومن فيه، إنما ينطق بواحدية الخالق، فيقول: «كشف العلم عن عجيب ما صنع الصانع. كشفه في النبات، وهو صنوف لا عداد لها. وكشفه في الحيوان، وهو أجناس لا حصر لها. وكشفه في الإنسان، أسمى حيوان. وكشف عن أنساق واحدة في كل هذه الصنوف والأجناس جميعا. وكشف عن قوى في كلها تعمل واحدة، على اختلاف في درجات، ولكن في اتحاد في غاية. وهدى المنطق، وهدت الفطرة، إلى أن صاحب هذه الأنساق لا بد واحد؛ ومجري هذه القوى لتعمل على هذه الأساليب الواحدة لا بد واحد»[2].

وفي السياق نفسه، يوضح لابلاس انتفاء المصادفة، من خلال تأمل الأجرام السماوية، فيقول: «إن القدرة التي وضعت الأجرام السماوية في المجموعة الشمسية، وكثافتها، وأقطارها، ومداراتها، وحددت مدة دوران السيارات حول الشمس، والتوابع حول السيارات بنظام مستمر إلى ما شاء الله؛ لا يمكن أن تنسب إلى المصادفة»[3].

كما يبين كرونين، الذي بدأ حياته ملحدا، أنه «إذا تأملنا الكون

وأسراره وعجائبه، ونظامه ودقته، وضخامته، وروعته؛ لا بد أن نفكر في إله خالق. من ذا الذي يتطلع إلى السماء في ليلة صيف صافية، ويرى النجوم اللانهائية تتألق بعيدا؛ ثم لا يؤمن بأن هذا الكون كله لا يمكن أن يكون وليد المصادفة العمياء؟ وعالمنا هذا وهو يدور في الفضاء في حركة دقيقة منتظمة، وفصول متتابعة؛ لا يمكن أن يكون مجرد كرة من المادة خالية من الدلالة، نزعت من الشمس، وألقيت في الفضاء بلا معنى أو سبب»[٤].

وهكذا نرى توالي شهادات علماء الطبيعة على ما تتضمنه ظواهر الكون من دلالات مؤكدة لما يحمله هذا الكون بين جنباته من الانتظام والاتساق، ومن القصدية في الخلق والغائية في السير: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ (يس:٣٨-٤٠).

اهتمام مبكر بالفضاء

بهذه الروح الإيمانية تشكلت العقلية العلمية للمسلمين، وانطلقوا متأملين في الكون، منقبين عن أسراره، مكتشفين حقائقه. وكان الفضاء من المجالات المبكرة التي نالت اهتمام علماء الإسلام، لما يرتبط بظواهره من أمور تعبدية مثل الصلاة والصيام والحج.

ويشير غوستاف لوبون إلى أن «علم الفلك هو من أول ما اعتني به في بغداد، ولم يدرس العرب وحدهم مسائله، بل سار على طريقهم وارثوهم أيضا، ولاسيما حفيد تيمورلنك، أولوغ بك، الشهير بزيجه؛ والذي يمكن عده المثل الأخير لمدرسة بغداد التي دام زمن ازدهارها سبعة قرون (٧٥٠م-١٤٥٠م)»[٥].

وعلم الفلك يعنى «بالحركات الظاهرة للأجرام على الكرة السماوية؛ نتيجة الدوران اليومي للأرض حول نفسها ودورانها السنوي حول الشمس، ودوران القمر حول الأرض، ودوران الكواكب حول الشمس»[٦].

وفي رحلتهم مع علوم الفلك، استفاد المسلمون من تراث سابقيهم، وصححوا لهم ما كان في نظرياتهم من خطأ؛ يقول هيل: «وفي محاولة لتفسير الحركات غير المنتظمة للكواكب، وضع بطليموس سلسلة تفصيلية من الإنشاءات الهندسية، التي كان بعضها محل اعتراض من جانب فلكيين إسلاميين استنادا إلى أسس فلسفية أو أرصادية، أو إليهما معا. ولقد أسهم علماء المسلمين في إضافات مهمة إلى علم الفلك النظري، وذلك باقتراح تعديلات على النظام البطلمي»[٧].

وأما أهم المجالات التي شملها علم الفلك كما مارسه علماء المسلمين، فهي:

١- علم المواقيت: فعلم الميقات جزء أساسي من الممارسات الفلكية الإسلامية؛ حيث إن حدود الفترات الزمنية المسموح بها شرعا للصلوات الخمس، تحدد بدلالة الموقع الظاهري للشمس في السماء بالنسبة إلى الأفق المحلي. وهذه الأوقات تتغير على مدار العام وتعتمد على خط العرض المحلي.

٢- اتجاه القبلة: واتجاه القبلة من مكان معين عبارة عن دالة مثلثية لخط العرض المحلي وخط عرض مكة المكرمة والفرق بين خطي طول الموقع ومكة. وكان اشتقاق معادلة اتجاه القبلة بدلالة هذه الكميات إحدى المسائل الأكثر تعقيدا في علم الفلك الكروي الإسلامي، وكانت أيضا أهم مسألة من وجهة النظر الدينية الخالصة.

٣- رؤية الهلال: والمسألة الثالثة من مسائل علم الفلك الكروي، المتعلقة



بشؤون دينية إسلامية، هي توقعات رؤية هلال القمر في بدايات الشهور القمرية. وقد عرضت رسائل فلكية إسلامية متنوعة جداول توفر البيانات اللازمة لهذه التوقعات، استنادا إلى نظرية معدلة من علم الفلك الهندي[٨].

ولتحقيق هذه المقاصد الدينية من علم الفلك، بجانب فوائد أخرى أشمل وأعم؛ اهتم المسلمون بإنشاء المراصد، وكان أول هذه المراصد في زمن الخليفة الأموي المأمون، وانتشرت المراصد في حواضر العالم الإسلامي، مثل دمشق وبغداد والقاهرة وأصفهان وقرطبة.

ولقد خلد التاريخ من علماء الإسلام الذين اعتبروا قادة علم الفلك، كثيرين؛ منهم: أبو عبدالله بن سنان جابر البتاني، ويقول عنه المؤرخون: إنه أحد العشرين فلكيا المشهورين في العالم، وقد استخدم الهندسة والجبر وحساب المثلثات في دراسة علم الفلك، وذلك في القرن الثامن الميلادي. ووضع في هذا المجال كتابا أسماه «الزيج الصابي أو علم النجوم»؛ أوضح فيه تعليل حركات الشمس والقمر والكواكب والفلك كله، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية في عام ١٥٣٧م[٩].

دلالات حضارية

مما سبق من تطواف موجز حول رحلة علماء الإسلام مع علوم الفلك، نستطيع أن نلاحظ عدة دلالات حضارية؛ أهمها:

❖ أن الإسلام كان دافعا للمسلمين في رحلتهم العلمية واكتشافاتهم البحثية؛ ولم يكن عائقا أمام ارتياد آفاق علمية شتى، بل كان حافزا على ذلك وعلى نحو مبدع.

❖ كان اهتمام المسلمين بعلوم الفلك إحدى ثمرات تطبيقهم المنهج التجريبي؛ الذي استقوه من القرآن الكريم، ووظفوه في سائر المجالات العلمية.

❖ اهتم المسلمون بتراث الحضارات السابقة عليهم، وأفادوا منه، وأضافوا إليه، وصححوا ما كان فيه من أغلاط؛ وبذلك مثلوا حلقة جوهرية من حلقات الإبداع الحضاري.

وإضافة لهذه الدلالات المهمة، بقي أن نقول، في رسالة ملهمة لحاضرنا: إن هذا التراث العريض الزاهر ينبغي أن يكون مدعاة لاستئنافه، وحثا على مواصلة ما خلفه لنا أسلافنا، لا أن نكتفي بالفخر به فحسب؛ خصوصا أن الفضاء أصبح ساحة للتنافس لا تقل أهمية عن ساحات أخرى في البحار أو اليابسة، بل ربما زادتها في الأهمية والاستراتيجية والتأثير.

الهوامش

١- كرسي موريسون: العلم يدعو للإيمان، ترجمة محمود صالح الفلكي، ص:١٩٥.

٢- المصدر نفسه، ص:٣٧.

٣- د. عبدالرزاق نوفل: الله والعلم الحديث، ص:٢٠.

٤- المصدر نفسه، ص:٢٠-٢١.

٥- غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ص:٤٥٦.

٦- دونالد ر. هيل: العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ترجمة: د. أحمد فؤاد باشا، ص:٥٩.

٧- المصدر نفسه، ص:٥٩. ويوجز لوبون إسهامات العرب النوعية في علم الفلك فيقول: «وتلخص اكتشافات العرب الفلكية بما يأتي: إدخال المماس إلى الحساب الفلكي منذ القرن العاشر من الميلاد، ووضع أزياج لحركات الكواكب، وتعيين دقيق لانحراف سمت الشمس ونقصانه التدريجي، وتقدير مبادرة الاعتدالين بالضبط، وتحديد صحيح لمدة السنة، وتحقيق لشذوذ أعظم عرض للقمر، وكشف للاختلاف القمري الثالث المعروف بالاختلاف في الوقت الحاضر، والذي قيل إن تيخو براهه اهتدى إليه في سنة ١٦٠١م لأول مرة»، انظر: غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص:٤٦٣-٤٦٤.

٨- دونالد ر. هيل: العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ص:٦٢-٦٧ (باختصار).

٩- د. عبدالرزاق نوفل: المسلمون والعلم الحديث، ص:١١١. وراجع: ألدو ميللي: العلم عند العرب، ترجمة: عبدالحليم النجار ومحمد يوسف موسى، الصفحات: ١٣٤-١٣٥، و١٥٧-١٥٨.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
AL-Waei AL-islami
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
عاما ٦٠

حصة الزامل
كاتبة وباحثة

الطاقة الشمسية في العالم الإسلامي

للطاقة دور حيوي لا غنى عنه في العالم المعاصر لأهميتها في عملية التنمية وارتباطها الوثيق بمختلف مجالات التنمية المستدامة.

يتجه العالم للجوء إلى مصادر الطاقة المتجددة لتميزها بديمومة وجودها وعدم نفادها، فهي مصدر متجدد ونظيف ويسهم في تقليل الاعتماد على الوقود الأحفوري والحد من انبعاث الغازات الدفيئة.

والطاقة المتجددة تتوافر بشكل مولدات تعمل بالطاقة المائية أو طاقة الرياح أو ألواح الطاقة الشمسية وتسد الاحتياجات المتزايدة للإنسان، وتجنب شبح نفاد موارد الطاقة الأحفورية غير المتجددة (النفط والغاز الطبيعي).

وللوصول للتنمية المستدامة يتوجب توفر الطاقة التي من خلالها تنجز الأهداف الاقتصادية، والاجتماعية والبيئية للتنمية المستدامة.

الشمس هي المصدر الرئيسي لمعظم مصادر الطاقة المتجددة؛ لما لها من أهمية كبرى كبديل للطاقة التقليدية فهي تحقق التنمية المستدامة وتلبي احتياجات الطاقة المتزايدة.

والطاقة الشمسية هي الأكثر وفرة من بين جميع مصادر الطاقة ويمكن توليدها حتى في الطقس الغائم. وتكنولوجيا الطاقة الشمسية يمكنها توفير الحرارة، والتبريد، والإضاءة الطبيعية والكهرباء لمجموعة من التطبيقات، كما تعمل على تحويل أشعة الشمس إلى طاقة كهربائية إما من خلال ألواح كهروضوئية أو من خلال مرايا تركز على الإشعاع الشمسي. فهي بديل عن استخدام الوقود الذي ينفد مع مرور الوقت إضافة إلى تلويثه للبيئة.

تبنى الخلايا الشمسية من السليكون، ويضاف إليها بعض الشوائب مثل الفوسفور لتحسين قدرتها على توصيل الكهرباء، وعند سقوط أشعة الشمس على بلورات السليكون تمتصها فتتحرر الإلكترونات عشوائيا مما يولد تيارا كهربائيا.

تقع العديد من الدول الإسلامية في مناطق ذات إشعاع شمسي مرتفع مما يساهم في الاستفادة من الطاقة الشمسية بشكل كبير.

تم استخدام الطاقة الشمسية في العالم الإسلامي القديم في عدة مجالات مثل: الفلك، والملاحة، وتحديد الوقت والمساحة، واستخدمت أدوات مثل المراصد الشمسية والاسطرلاب بشكل واسع لأغراض دينية وعلمية.

كما ازدهر علم الفلك في العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى من خلال مساهمات كبيرة في فهم الطاقة الشمسية واستخدامها في مجالات متعددة مما يظهر مدى تقدمهم العلمي والمعرفي خلال تلك الفترة، كذلك بناء مراصد في مدن مثل بغداد ودمشق، لمراقبة الشمس بدقة لحاجة المسلمين



لمعرفة أوقات الصلوات الخمس.
في مجال البصريات ساهم ابن الهيثم بشكل كبير في فهم آلية الرؤية وكيفية تفاعل الضوء مع الأسطح، مما له علاقة بفهم الطاقة الشمسية، كما تم استخدام الطاقة الشمسية في تدفئة المباني وتجفيف المحاصيل، واستخدام المرايا لتركيز أشعة الشمس لأغراض مختلفة.

دول إسلامية رائدة في مجال الطاقة الشمسية

دولة الكويت تتجه نحو زيادة الاعتماد على الطاقة المتجددة، خصوصا الشمسية، لتحقيق أهدافها في تنويع مصادر الطاقة وتقليل الانبعاثات الكربونية، كما تهدف إلى إنتاج ١٥ في المئة من استهلاكها الكهربائي من مصادر متجددة بحلول عام ٢٠٣٠م، مع خطط لزيادة هذه النسبة مستقبلا مع التركيز على مشاريع الطاقة الشمسية وطاقة الرياح.
ومشروع «الشقايا» للطاقة المتجددة من أهم المشاريع التي تنفذها الكويت لتوليد الطاقة النظيفة.
تندرج جهود الكويت في مجال الطاقة المتجددة ضمن رؤية الكويت (٢٠٣٥م) والتي تهدف إلى تحقيق التنمية المستدامة وتنويع مصادر الدخل.
دولة الإمارات العربية المتحدة: من أكثر الدول العربية توليدا للطاقة الشمسية وتستثمرها بشكل كبير في مشاريع الطاقة المتجددة.
مثال على ذلك «مجمع محمد بن راشد آل مكتوم للطاقة الشمسية في دبي».
المملكة العربية السعودية: مشروع سدير للطاقة الشمسية وهو إحدى أكبر المحطات الشمسية في العالم.
جمهورية مصر العربية: محطة بنبان للطاقة الشمسية، وهي أكبر محطة للطاقة الشمسية في أفريقيا.
المملكة الأردنية الهاشمية: مشروع محطة رياح الطفيلة ومشروع محطة الطاقة الشمسية في منطقة «القويرة».
سلطنة عمان: مشاريع الطاقة الشمسية في مناطق مختلفة من السلطنة.
التحديات التي تواجه انتشار الطاقة الشمسية:
التكلفة العالية للمعدات والأنظمة.
كفاءة الألواح الشمسية والاعتماد على الظروف الجوية.
الحاجة لمساحة كبيرة لتركيب الأنظمة.
عدم الوعي الكافي والمعلومات الخاطئة.
التحديات التنظيمية والتشريعية.
في العالم الإسلامي إمكانيات هائلة لتوسيع استخدام الطاقة الشمسية مما يساهم في تحقيق التنمية المستدامة وتلبية احتياجات الطاقة المتزايدة مع الحفاظ على البيئة والتقليل من الاعتماد على الوقود الأحفوري، على الرغم من وجود تحديات، إلا أن الاستثمار في الطاقة الشمسية والابتكار في هذا المجال يمكن أن يقود إلى مستقبل مشرق واستقلالية للطاقة.

المراجع

- مجلة البحوث القانونية والاقتصادية، د. إبراهيم عبدالله عبد الرؤوف محمد.
- الجمعية الأردنية لإعجاز القرآن والسنة، الطاقة في العالم الإسلامي، أ.د. محمد زكي خضر.
- دراسة حول الألواح الشمسية، الباحث الاقتصادي مريم خميس.



سنوات عامًا
الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
AL-Waei Al-Islami

ديمة خلف الراجحي
كاتبة وباحثة

الفضاء
في نظر الإسلام.. تأمل وعلم وعبادة

منذ بداية الحياة كان النظر إلى السماء دافعا للتأمل والتفكر، حيث أبدع الخالق برسم السماء بتفاصيلها وعلوها، حيث النظر إلى السماء ينتج تساؤلات كثيرة عما تخفيها قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:١٦٤)، تكرر ذكر السماوات والأرض في القرآن الكريم مما يعكس اهتمام الإسلام العميق بالكون والفضاء. الفضاء في نظر الإسلام هو جزء للتفكر في عظمة الخالق، حيث يضم القرآن الكريم العديد من الآيات القرآنية تنمي التأمل في الفضاء وإبداع الخالق في السماوات والنجوم والكواكب ومنها ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ (ق:٦). ومن أشهر العلماء في العصر الذهبي المتخصصين في علم الفلك ثلاث علماء هم: البيروني، ابن الشاطر والبتاني، حيث قدم كل عالم منهم أمرا مختلفا.

- البيروني: قدم وصفا دقيقا لحركة الكواكب.
- ابن الشاطر: طور نماذج لحركة القمر تشبه ما توصل إليه كوبرنيكوس لاحقا.
- البتاني: حسب طول السنة الشمسية بدقة عالية.

وقد ساعد العلماء باكتشافاتهم في تمهيد الطريق للثورة العلمية الأوروبية. وبالرغم من الاختلافات الظاهرية

أحيانا، فإن العلم والدين في الإسلام لا يتعارضان، بل يدعو الإسلام إلى العلم ويعتبره فريضة. وفيما يتعلق بالفضاء، فإن الاكتشافات الحديثة مثل اتساع الكون، والانفجار العظيم، لها إشارات قرآنية:

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات:٤٧).

التأمل في الكون عبادة عقلية

يحث الإسلام على التفكر والتأمل في خلق السماوات والأرض، وهناك آيات عدة تدعو إلى النظر في السماء والنجوم والكواكب باعتبارها آيات كونية، يقول تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾. (الأنعام:٩٧).

﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ (الأعراف:١٨٥).

﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾ (ق:٦-٨).

ومن الأمور المهمة في الفضاء تحديد الاتجاهات والوقت عن طريق الفلك أي بمعنى معرفة اتجاه القبلة ومواقيت الصلاة والشهور القمرية، بمعنى أصبح الفضاء وسيلة تقنية تخدم الإسلام عن طريق الأقمار الاصطناعية.

ومع تطور العلم والتفكر في الفضاء ظهرت تساؤلات فقهية جديدة عن الفضاء منها:

١- صلاة رواد الفضاء:

حيث يحدد وقت الصلاة بالنية لأنه لا توجد جاذبية ولا تحديد دقيقا للقبلة أو الوقت.

اتفق الفقهاء ووضعوا حل النية بتقدير الوقت الذي ظهر من رائد الفضاء.

٢- الصوم في الفضاء:

أيضا اقترح الفقهاء اتباع وقت الدولة التي انطلق منها الرائد أو توقيت مكة المكرمة، حصل هذا الموضوع مع رائدي الفضاء هزاع المنصوري (إماراتي الجنسية) وسلطان بن سلمان (سعودي الجنسية) ووضعت لهما إرشادات دينية خاصة.

٣- رؤية الهلال من الفضاء:

تمكن رؤية الهلال شرط لدخول الشهور القمرية.

الدين الإسلامي يدعم العلم والتطور والمحفز الأول له، وقد دعا القرآن الكريم في عدة آيات قرآنية إلى النظر والتأمل في السماوات، أيضا قدم علماء المسلمين إسهامات عظيمة في الفلك وتعامل الفقهاء بمرونة مع تطورات العلم الحديث، ونستنتج أن الإسلام مرتبط مع استكشاف الكون بجميع تفاصيله.

المراجع

- كتاب مساهمات علماء المسلمين في الفلك.
- «دليل رائد الفضاء المسلم».
- إصدار: وكالة الفضاء الماليزية (ANGKASA) The nation al.

الوعي الإسلامي
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
عاما ٦٠

ريمية شليويح الشلاحي
كاتبة وباحثة

نيوم والطاقة الشمسية

في قلب صحراء شمال غرب السعودية، تولد مدينة من نوع آخر مختلف بشكل كامل لا تعتمد على الوقود التقليدي بل تستمد طاقتها من الشمس والرياح، إنها مدينة «نيوم»؛ مشروع بحجم الحلم ورؤية تسابق الزمن، ليست نيوم مجرد مدينة ذكية بل هي نموذج لمستقبل رائع تقوده الطاقة المتجددة، وتحديدا الطاقة الشمسية، لتكون الأساس في حياة سكانها وصناعتها.

الطاقة الشمسية في نيوم أكثر من مجرد بديل

منذ انطلاقة المشروع أعلنت نيوم التزامها بأن تكون أول مدينة في العالم تدار بنسبة ١٠٠ في المئة من مصادر الطاقة المتجددة، تعد الطاقة الشمسية جزءا أساسيا من هذا التوجه؛ لما تتمتع به المنطقة من موقع جغرافي مثالي يضمن توافر ضوء الشمس غالبية أيام السنة، لكن نيوم لم تر الشمس كمصدر طاقة فقط، بل رأتها عنصرا ثابتا في حياة الناس ممكن تحويله لطاقة نظيفة تغذي البيوت، تشغل المصانع وتضيء الشوارع بدون تلويث الجو.

«الشغري» قلب الطاقة الشمسية

أحد أبرز المشاريع داخل نيوم هو محطة الشغري الشمسية، والتي يتوقع أن تضم أكثر من



خمسة ملايين لوح شمسي لتوليد طاقة كهربائية نظيفة تصل إلى ٢.٢ غيغاواط. هذا المشروع سيسهم في تزويد نيوم بالطاقة اللازمة لتشغيل المنازل والمنشآت والمرافق الحيوية.

ما يميز هذا المشروع ليس حجمه فقط بل فكرته العجيبة التي تتضمن تصميم الألواح وترتيبها، إلى أنظمة التتبع التي تجعل الألواح تتحرك مع الشمس طوال اليوم لتمتص أكبر قدر ممكن من الضوء.

الهدف ليس فقط إنتاج طاقة لليوم، بل بناء نظام يصمد لعقود طويلة. مشروع الشغري ليس محطة مؤقتة بل هو القاعدة الأساسية لبنية تحتية كاملة تعتمد على الشمس كمصدر رئيسي وثابت لحياة متكاملة في نيوم.

الهيدروجين الأخضر: شمس نيوم تصدر الطاقة للعالم

الاعتماد على الطاقة الشمسية لا يقتصر على توليد الكهرباء فقط، بل يتعداه إلى إنتاج الهيدروجين الأخضر، الذي يعد وقود المستقبل. أطلقت نيوم مشروعا ضخما بقيمة ٨.٤ مليارات دولار لإنتاج الهيدروجين الأخضر، باستخدام طاقة الشمس والرياح بطاقة تصل إلى ٦٠٠ طن يوميا. هذا المشروع سيجعل من نيوم مركزا عالميا لتصدير الطاقة النظيفة.

تقنيات ذكية وصديقة للبيئة

في ظروف البيئة الصحراوية القاسية الغبار والرمال ممكن أن تقلل من كفاءة الألواح الشمسية حتى ٦٠ في المئة، لذلك تبنت نيوم حلا ذكيا تم تطويره محليا في جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية (كاوست)، يتمثل في استخدام روبوتات متطورة تنظف الألواح تلقائيا وبدون استخدام الماء، وتعتبر من الابتكارات الرائدة في مجال الطاقة للحفاظ على الأداء العالي للنظام الشمسي في أقسى الظروف البيئية.

شبكة ذكية وتخزين مستدام

لا تتوقف خطة نيوم عند الإنتاج فقط، بل تشمل شبكة كهرباء ذكية مدعومة بالذكاء الاصطناعي، قادرة على التوزيع والتخزين بكفاءة عالية ويتم استخدام بطاريات ضخمة وتقنيات تخزين حراري وهيدروليكي لضمان استمرار التيار حتى في الليل أو أثناء تقلبات الطقس.

هذه الشبكة تساعد على:

- توزيع الكهرباء على البيوت والمصانع.
- مراقبة استهلاك الطاقة وتحديد الأعمال بسرعة.
- التوفير، لأن الطاقة تستخدم وقت الحاجة فقط.

أما في الأوقات التي لا توجد فيها شمس أو رياح، مثل الليل أو وقت الغبار، فإن نيوم يستخدم:

- بطاريات ضخمة لتخزين الكهرباء الزائدة في النهار.
- تقنيات حرارية هيدروليكية (مثل ضخ المياه إلى خزانات مرتفعة ثم استخدامها لاحقا لتوليد الكهرباء).

كل هذا يجعل الكهرباء في نيوم لا تنقطع أبدا، وتكون تقنية آمنة طوال الوقت مهما تقلب الجو.

وأخيرا نيوم ليست مجرد مدينة مستقبلية، بل هي رسالة للعالم بأن التنمية والتطور يجب ألا يكونا على حساب البيئة، والشمس التي نراها دائما مصدرا للحرارة والجفاف في الصحراء أصبحت رمزا للحياة والطاقة والتجديد.

المصادر

KAUST Innovation

KAUSTInnovation Fund

PV Magazine

Power Technology

Arab News

رؤية السعودية ٢٠٣٠

الموقع الرسمي لمشروع نيوم

هيئة الطاقة السعودية

تقارير وزارة الطاقة

صحيفة الشرق الأوسط

سنوات عامًا ٦٠
مجلة كويتية شهرية جامعة
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

سعاد القحطاني
كاتبة وباحثة

من ظلال التأمل إلى أنوار المعجزات

من داخل الظلال انبثق نور ينادي بالعلم والتطور، بمعرفة خبايا الكون وفضائه. فكيف أصبح ذلك الفضاء دليلا ومرشدا منذ القدم إلى زماننا الحالي، إن الله لم يخلق شيئا عبثا، فلكل شيء له بيان واضح، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ (الأنبياء:١٦).

منذ قديم الأزل، وقبل الإسلام، كان العرب يتأملون النجوم ليس فقط لجمالها، بل لأنهم كانوا يفهمون الحياة من خلالها. لقد كانت النجوم بالنسبة لهم معتقدا، وخريطة، وساعة، وسفرا، فلم تكن هناك بوصلة ترشدهم، بل كانوا يعتمدون على النجوم. في الملاحة، كانت النجوم وسيلة لتحديد الاتجاهات في تلك الصحراء الواسعة، خصوصا نجم القطب الشمالي (الجدي) الذي يظل ثابتا، وكانوا يستدلون به على اتجاه الشمال. وهناك نجوم «بنات نعش الكبرى»، فقد أطلقوا عليها هذا الاسم لأنها عبارة عن مجموعة من سبعة نجوم تنتمي إلى الدب الأكبر، حيث يشبه أربعة منها النعش، وثلاثة منها عبارة عن فتيات يتبعن النعش في جنازة.

كان العرب يراقبون ظهور النجوم ليعرفوا موعد بدء الصيف والشتاء، ومتى يبدأ موسم الأمطار، ومتى يحين وقت الزراعة والحصاد. وكان هناك نجمان، أحدهما يسمى «ثريا» والآخر «سهيل»، وكانا كأخوين؛ فإذا ظهر «ثريا»، علموا أن الجو سيصبح باردا ويحل الشتاء، أما إذا طلع «سهيل»، فكانوا يعلمون بأن الصيف سيطرق الأبواب وسيتغير الجو.

لكن رغم ذلك، أصبح البعض يعتبر تلك النجوم والكواكب معتقدا دينيا، فقد وصل بهم الأمر إلى عبادة الشمس والزهرة، خصوصا في اليمن وبلاد الرافدين، حتى جاء الإسلام ليبطل هذه المعتقدات ويمحيها كظلال زائفة. فازدهرت الحضارة العربية الإسلامية لتحول ظلال التأمل

إلى أنوار المعجزات.

وقد أنار الإسلام بصيرة المسلمين نحو علم الفلك، حيث طور المسلمون أدوات الرصد والقباب السماوية، تاركين وراءهم إرثا من المعلومات والملاحظات الدقيقة.

فوجدنا الخليفة العباسي المأمون هو أول من أسس مرصدا فلكيا إسلاميا في بغداد، وكان هدفه قياس محيط الأرض بدقة وتصحيح الجداول الفلكية اليونانية.

ولا تزال الأسماء العربية التي استخدموها للنجوم موجودة حتى اليوم، حيث لا يزال ١٦٥ نجما يحمل أسماء عربية مثل «سهيل» و«ثريا».

الكاميرا التي نشهدها اليوم هي نتيجة اكتشاف عالم مسلم، وهو الحسن بن الهيثم، الذي تم سجنه على يد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بسبب تظاهره بالجنون بعد فشله في مشروع هندسي لتنظيم مياه نهر النيل، وكان المشروع في ذلك الزمان مستحيل التنفيذ بسبب الوسائل المتاحة. حبس في زنزانة مظلمة، لكنه لاحظ وجود ثقب في الزنزانة أضاء على الحائط ورسم صورة مشابهة للخارج. ومن هنا فهم أن الثقب الضيق هو بؤرة تجمع الضوء، فصنع غرفة مظلمة أحدث فيها ثقبا ليظهر شكل الصورة، ولكن مقلوبة، وسماها «القمرة»، لكن حرفت لتصبح «كاميرا»، وسجل ذلك الاختراع في كتابه «المناظر» الذي اعتمد عليه علماء الغرب بعد ذلك لتطوير البصريات.

وذكر في التاريخ العالم الفارسي عبدالرحمن الصوفي كأول عالم يذكر مجرة أندروميدا، ووجد الفلكي المصري ابن يونس أخطاء في حسابات بطليموس حول حركة الكواكب وانحرافاتها.

فكيف حول الإسلام النجوم والكواكب التي اقتصرت على الخريطة ومعرفة الوقت لتكون طوق نجاة إلى أشياء أكبر؟ كيف صنعت القبة السماوية والمرصد والكاميرات التي كانت من لا شيء إلى كل شيء؟

لقد أنار الإسلام العقل لتتوارث تلك العلوم وتتكامل إلى ما آلت إليه في زمننا الحالي، فأصبحت تعلن عن نفسها لتخرج من ظلال التأمل إلى أنوار المعجزات.

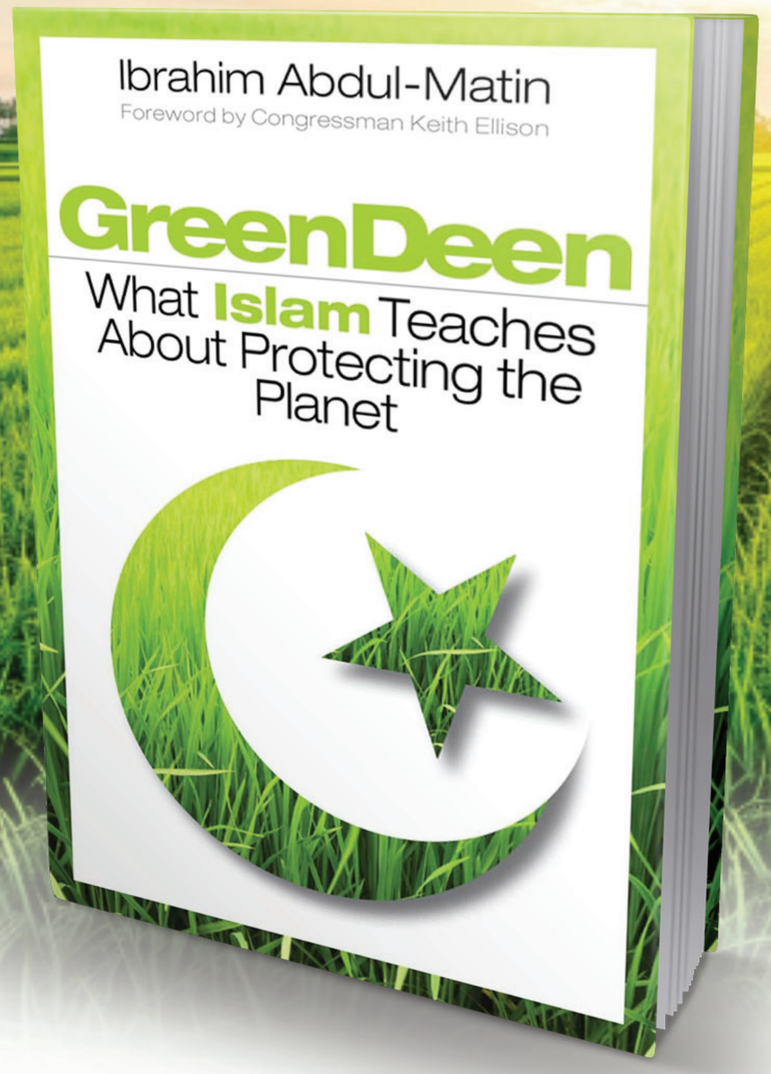
المراجع

- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المكتبة الشاملة.
- مقال الشرق الأوسط: دراية العرب بالفلك قبل الإسلام.
- الاتحاد الفلكي الدولي: IAU. https://www.iau.org
- كتاب المناظر – الحسن بن الهيثم، تحقيق: عبد الحميد صبرة، دار الكتب العلمية
- كتاب صور الكواكب الثابتة – عبد الرحمن الصوفي، تحقيق: نائل حسن، مركز التراث العلمي العربي
- الموسوعة الفلكية الإسلامية – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
- مقالة «المعجزات في فلسفة الدين» – مؤمنون بلا حدود /https://www.mominoun.com



الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
AL-Waei AL-islami
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
عاما ٦٠

ظهير البويا
باحث اكاديمي



دراسة كتاب:
«مايعلمه الإسلام عن حماية الكوكب»

الـديـن الأخـضـر (Green Deen): «ما يعلمه الإسلام عن حماية الكوكب» هو كتاب من تأليف إبراهيم عبدالمتين، مستشار السياسات في مكتب عمدة مدينة نيويورك، يعنى بقضايا التخطيط الطويل الأمد والاستدامة. يناقش الكتاب الروابط بين التعاليم الإسلامية وحماية البيئة من جوانب متعددة. يشير عنوان «الدين الأخضر» إلى مفهوم اتباع المسلمين لمنهج حياة واع بيئيا، حيث تعني كلمة «الدين»: «الطريقة» أو «العادة والشأن» في اللغة العربية. وقد وصف الكتاب ستة مبادئ لمفهوم الدين الأخضر : التوحيد، الآية، الخلافة، الأمانة، العدل والميزان، وهي مواضيع رئيسية للاستكشاف الفضيل. ينقسم الكتاب إلى أربعة أجزاء تغطي مواضيع النفايات، والمياه، والغذاء، بحيث إن «الأرض مسجد، وكل ما فيها مقدس» هي العبارة والمفهوم الرئيسي لهذا الكتاب.

نظرة عامة على الكتاب

في الجزء الأول، تحت عنوان «النفايات»، تناول الكاتب قضية الإفراط في الاستهلاك وإدارة النفايات. وركز على مبدأ الميزان الإسلامي، داعيا إلى الاعتدال والاستهلاك المسؤول للحفاظ على توازن الأرض وصونها للأجيال القادمة. كما ركز بشكل كبير على مفهوم التوحيد، مذكرا القراء بأن جميع الموارد مترابطة وتأتي من مصدر واحد، ولذلك يعد الاعتدال والاستهلاك المسؤول أمرا بالغ الأهمية. ومن الأمثلة على ذلك: مبادرات إعادة التدوير المجتمعية والحد من النفايات الشخصية. وأخيرا، تطرق إلى التوازن البيئي الذي يندرج ضمن أهداف التنمية المستدامة التي نوقشت كثيرا في مؤتمرات الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ لسنوات طويلة، حيث قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١).

وفي الجزء الثاني، قارن الكاتب بين مصادر الطاقة غير المتجددة، التي يطلق عليها «طاقة الجحيم»، والمصادر المتجددة، التي يطلق عليها «طاقة السماء». استشهد بمبدأ الخلافة، مؤكدا أن الله أوكل إلى البشر حماية كوكب الأرض، وعليهم اختيار حلول الطاقة المستدامة، قال تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحـــزاب:٧٢).

وبالتالي خلال النقاش، شدد على مسؤولية الإنسان في استخدام موارد الطاقة بحكمة، والاستثمار في تقنيات مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود:٦١).

وفي الجزء الثالث من محاضرته، تناول الكاتب مسألة المياه من منظور الآيات، موضحا أن مصادر المياه الطبيعية هي من مظاهر آيات الله، وأن الحفاظ عليها من مظاهر التعظيم لله. كما ناقش مبدأ العدل، مؤكدا على التوزيع العادل للمياه النظيفة وتوفيرها لجميع المجتمعات. ومن الأمثلة على ذلك الوضوء بأقل قدر من الماء في الممارسات الإسلامية التقليدية، موضحا كيف تعزز هذه الممارسات الحفاظ على هذا المورد الحيوي واحترامه. فلنتفكر في قول الله تعالى حين أهدانا بمحكم تنزيله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء:٣٠)، و في مكان آخر قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ (الملك:٣٠).

أما في الجزء الرابع من المحاضرة، فتناول استهلاك الغذاء من خلال مبدأ الميزان، معززا العادات الغذائية التي تتوافق مع النظام البيئي الطبيعي والتغذية الصحية. وتناول أهمية تناول الأطعمة الحلال والطيبة، مؤكدا على الالتزام بالواجبات الدينية، وتشجيع الزراعة المستدامة والمعاملة الأخلاقية للحيوانات. وربط الكاتب هذا بالأمانة، حاثا على واجب اختيار الطعام بما يتوافق مع صحة البيئة ورفاهية المجتمع. بحيث نذكر ما أرشدنا به ربنا العظيم بحكمه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(البقرة:١٦٨).

عما تفرد به الكتاب

دعونا نناقش كيف يتميز هذا الكتاب عن غيره من الأدبيات البيئية. دمج هذا الكتاب الفقه الإسلامي مع الدعوة البيئية. في حين أن العديد من الكتب البيئية تتناول الموضوع من منظور علمي أو اقتصادي أو أخلاقي واسع، فإن عمله يتعمق في الضرورات الروحية في إطار المبادئ الإسلامية. من التحليل الوارد في المناقشة أعلاه، يمكننا أن نجد أن هذا الكتاب يستند إلى أربعة جوانب رئيسية. أولا، البيئة القائمة على الإيمان، حيث أوضح مبادئ مثل التوحيد والخلافة والميزان التي ترشد المسلمين بطبيعتها نحو حياة مستدامة. يقدم الكتاب منظورا متميزا، حيث إن رعاية الكوكب ليست مجرد خيار أخلاقي، بل واجب ديني على المسلمين.

ثانيا، السياق الثقافي والديني، حيث ركز على النصوص والتقاليد الإسلامية. وقدم رؤى حول كيفية تأثير المعتقدات الدينية على العمل البيئي وتحفيزه. ثالثا، التطبيقات العملية المتجذرة في الإيمان، حيث يقدم نصائح عملية حول كيفية دمج المسلمين للوعي البيئي في حياتهم اليومية. على سبيل المثال، الحفاظ على المياه أثناء الوضوء لدعم ممارسات غذائية مستدامة. رابعا، يشدد مركز العدالة المجتمعية والاجتماعية على أهمية المشاركة المجتمعية والعدالة الاجتماعية في الحفاظ على البيئة. ويناقش كيف تدعو التعاليم الإسلامية إلى التوزيع العادل والمنصف للموارد، ورعاية الأقل حظا، والحفاظ على الرفاه المجتمعي.

خاتمة

يعد كتاب «الدين الأخضر: ما يعلمه الإسلام عن حماية الكوكب» مناسبا بشكل خاص للقراء المهتمين بترابط الإيمان بالبيئة. سيجد المسلمون الذين يسعون إلى تعميق فهمهم للإدارة البيئية في إطار إسلامي هذا الكتاب منيرا. كما سيستفيد من رؤى عبدالمتين أيضا الأفراد ممن لديهم فضول لمعرفة كيف يمكن للمبادئ الدينية أن تثري العمل البيئي. يعد الكتاب موردا قيما لكل من يتطلع إلى استكشاف الحياة المستدامة من منظور روحي.

محمود محمد القليني
كاتب ومفكر

النجوم عند العرب

عبد العرب -كسائر الأجناس البشرية- النجوم اعتقادا منهم أن لها تأثيرا في شؤون حياتهم المادية والعلمية والروحية، لذلك لم يقنعوا بالشمس والقمر وإنما بحثوا بحثا دؤوبا عن نجوم أخرى يكون لها تأثير أكبر وأشد، لذلك حرصوا على الإحاطة علما بكل ما يصلون إليه من معرفة بالنجوم، وتلك المعرفة كانت توظف عمليا في حياتهم «وإله بعض الناس الظواهر الطبيعية لتوهمهم أن فيها قوى (spirit) روحية كامنة مؤثرة في العالم وفي حياة الإنسان مثل الشمس والقمر وبعض النجوم الظاهرة، وكانت الشمس والقمر أول الأجرام السماوية التي لفتت أنظار البشر إليها، لما في الشمس من أثر بارز في الزرع والأرض في حياة الإنسان بصورة مطلقة، كذلك القمر أثره في نفس الإنسان بما يبعثه من نور يهدي الناس في الليل ومن أثر كبير يؤثر في حس البشر، فكانا في مقدمة الأجرام السماوية التي ألهها الإنسان، عبدهما مجردين في بادئ الأمر، دون أن يتصور

فيهما ما يتصور من صفات ومن أمور غير محسوسة هي من وراء الطبيعة، فلما تقدم وزادت مداركه في أمور ما وراء الطبيعة تصور لهما قوى غير مدركة، وروحا وقدرة وصفات من الصفات التي تطلق على الآلهة، فخرجتا من صفتهما المادية البحتة ومن طبيعتهما المفهومة وصارتا مظهرا لقوى روحية لا يمكن إدراكها، وإنما تدرك من أفعالهما ومن أثرهما في الكون»[1].

وجاء الإسلام ليصحح موقف العرب من النجوم، فقال رسول الله ﷺ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة. وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»[2].

وقد صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب[3].

وجاء في الذكر الحكيم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت:٣٧).

ولكن بقيت النجوم لها دورها ووظيفتها عند العرب المسلمين، بالنسبة لتحديد المواقيت وكذلك تحديد الاتجاهات، سواء أثناء سيرهم في البر أو ركوبهم البحر ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام:٩٧)، ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل:١٦).

«علامات هي معالم الطريق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك، والمراد بالنجم الجنس وعن السدي هو: الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي»[4].

وبقى النجم في الوجدان العربي كآية من آيات الله العظيمة، ووظفها القرآن للتعبير عن أهوال ومقدمات يوم القيامة ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ (المرسلات:٨)، ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ (التكوير:٢)، ولفت الأذهان في موقع آخر إلى نجم له ما له من المكانة والمنزلة وهو النجم الطارق أو النجم الثاقب: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ (الطارق:١-٣)، «المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ منه كما قيل درئ لأنه يدرؤه أي: يدفعه. ووصف بالطارق لأنه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق أو لأنه يطرق الجني أي يمسكه والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التي يرجم بها.

أراد الله عز من قائل أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وأنه ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما أدراك ما الطارق؟ ثم فسره بقوله ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ كل هذا إظهار لفخامة شأنه كما قال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ (الواقعة:٧٥-٧٦)[5]

وجاء في تفسير التحرير والتنوير للعلامة الطاهر بن عاشور: «والطارق: وصف مشتق من الطروق، وهو المجيء ليلا؛ لأن عادة العرب أن النازل بالحي يطرق شيئا من حجر أو وتد إشعارا لرب البيت أن نزيلا نزل به لأن نزوله يقضي بأن يضيفوه، فأطلق الطارق على النزول ليلا مجازا مرسلا فغلب الطروق على القدوم ليلا وأبهم الموصوف بالطارق ابتداء ثم زيد إبهاما مشوبا بتعظيم أمره بقوله ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾، ثم بين بأنه ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ ليحصل من ذلك مزيد تقرير للمراد بالمقسم به وهو أنه من جنس النجوم، شبه طلوع النجم ليلا بطروق المسافر الطارق بيتا بجامع كونه ظهورا في الليل.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ استفهام مستعمل في تعظيم الأمر، وقد تقدم عن قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (الشورى:١٧)، وعند قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾

(الحاقة:٣)، وتقدم الفرق بين ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ و﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾.

وقوله: ﴿ٱلنَّجۡمُ﴾ خبر عن ضمير محذوف تقديره هو أي الطارق النجم الثاقب. والثقب: خرق شيء ملتئم، وهو هنا مستعار لظهور النور خلال ظلمة الليل، شبه النجم بمسمار أو نحوه وظهور ضوئه أو نحوه ظهور ما يبدو من المسمار من خلال الجسم الذي يثقبه مثل لوح أو ثوب. وأحسب أن استعارة الثقب لبروز شعاع النجم في ظلمة الليل من مبتكرات القرآن ولم يرد في كلام العرب قبل القرآن وقد سبقه قوله تعالى: ﴿فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ﴾ (الصافات:١٠)، ووقع في تفسير القرطبي: (والعرب تقول: اثقب نارك، أي أضئها)، والتعريف في ﴿ٱلنَّجۡمُ﴾ يجوز أن يكون تعريف الجنس، فيستغرق جميع النجوم استغراقا حقيقيا وكلها ثاقب فكأنه قيل والنجوم، إلا أن صيغة الإفراد في قوله: ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾ ظاهر في إرادة فرد معين من النجوم، ويجوز أن يكون التعريف للعهد إشارة إلى نجم معروف يطلق عليه اسم النجم غالبا أي والنجم الذي هو الطارق.

ويناسب أن يكون نجما يطلع في أوائل ظلمة الليل، وهي الوقت المعهود لطروق الطارقين، وهو نجم يظهر عقب غروب الشمس وبه سميت صلاة المغرب صلاة الشاهد»[٦].

الشعرى اليمانية

النجم الذي جاء ذكره في القرآن ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ (النجم:٤٩)، وكانت بعض القبائل تعبده ومن أشد نجوم السماء لمعانا «هو النجم ألفا في كوكبة الكلب الأكبر، وهي أكثر نجوم السماء كلها لمعانا فهي من القدر -١,٤٢ وتبعد عنا ٨,٦ سنوات ضوئية وتقع على خط التتابع الرئيسي في مخطط التطور النجمي، وعرفت باليمانية كونها في سماء الجنوب بالنسبة للجزيرة العربية، أي جهة اليمين، لما تسمى العبور أيضا عند العرب لأنها عبرت نهر المجرة أثناء لحاقها بأخيها (سهيل)»[٧].

القسم بالنجم

لذلك أقسم الله -عز وجل- بالنجم في بداية السور الكريمة. وهناك ارتباط ما بين القسم بالنجم أو النجوم والقرآن، ففي قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ (الواقعة:٧٥-٧٨)، بمواقع النجوم بمساقطها ومغاربها، ولعل لله تعالى في آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالا مخصوصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة أو لأنه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (الواقعة:٧٦)، أو أراد بمواقعها منازلها ومسايرها وله تعالى في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ اعتراض في اعتراض لأنه اعترض به بين المقسم والمقسم عليه وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ (الواقعة:٧٧)، واعترض ﴿لَّوۡ تَعۡلَمُونَ﴾ بين الموصوف وصفته، وقيل مواقع النجوم أوقات وقوع نجوم القرآن، أي أوقات نزولها كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب، أو نفاع جم المنافع أو كريم على الله، ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾

(الواقعة:٧٨) مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه سواهم[٨].

والقسم يأتي -غالبا- في بداية الكلام «لأن المتكلم -كما قال الرازي- إذا بدأ كلامه باليمين يعلم السامع أنه يريد أن يتكلم بكلام عظيم، فيصغى إليه تمام الإصغاء ويقبل على سماعه كل الإقبال»[٩].

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ (النجم:١-٢)

لماذا القسم بالنجم؟ وما المقصود به؟ وعلام أقسم؟

قال المفسرون: «أراد بالنجم جنس النجوم أو أراد به الثريا على ما اشتهر عند العرب، وهوى النجم: غرب أو طلع؛ يقال هوى هويا (بفتح الهاء) إذا سقط وغرب، وهوى هويا (بضمها) إذا علا وصعد، والضلال: ضد الهدى، والغي ضد الرشاد.

يقول: إن صاحبكم لعلى الهدى والرشاد، وإنما قال: ما ضل صاحبكم ولم يقل ما ضل محمد، تأكيدا لإقامة الحجة عليهم، بأنه صاحبكم، وهم أعلم به وبحاله وأقواله وأعماله وأنهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال.

أ- أقسم جل شأنه بالنجم إذا سقط وغرب على أن ما جاء به محمد ﷺ كلام لا غي فيه ولا ضلال فهو قسم على صحة القرآن.

ب- أقسم -جل شأنه- بالنجم، والنجوم آية من آيات قدرته.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ (الأنعام:٩٧)،

وآيات القرآن يهتدى بها في ظلمات الغي والجهل، فالنجم هداية في الظلمات الحسية وآيات القرآن هداية في الظلمات المعنوية والنجوم آياته المعنوية المرئية والقرآن آياته المتلوة فالشبه بينهما واضح والمناسبة قوية وكأنه تعالى يقول: من قدر على خلق النجوم يزين بها السماء ويهدي بها في ظلمات الليل برا وبحرا، قادر وبلا شك على إنزال القرآن؛ يخرجنا به من ظلمات الغي والجهل إلى نور العلم والإيمان، وأكثر ما يكون الاهتداء بالنجوم عند غروبها أو شروقها ولذا قال: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾، ونظير قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ (الواقعة:٧٥-٧٦)[١٠].

الهوامش

١- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دكتور عبدالجواد على، الجزء السادس، ص:٢٢.

٢- الراوي: أبو مالك الأشعري، (المحدث: مسلم)، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: (٩٣٤)، خلاصة حكم المحدث: (صحيح).

٣- الراوي: زيد بن خالد الجهني، (المحدث: البخاري)، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: (٨٤٦)، خلاصة حكم المحدث: (صحيح)، التخريج: أخرجه مسلم (٧١)، باختلاف يسير.

٤- تفسير الكشاف، الزمخشري، الجزء (٢٩)، ص:١١٦٩.

٥- تفسير الكشاف، الزمخشري، الجزء (٣)، ص:١١٩٣.

٦- تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الجزء (٣)، ص:٢٦.

٧- كون من لا شيء، تأليف لورانس كراوس، ترجمة: غادة الحلواني، (٢٣٦).

٨- تفسير الكشاف، الجزء (٢٧).

٩- القسم بالمخلوقات في القرآن، الأستاذ عثمان أبو النصر، ص:١٨.

١٠- القسم بالمخلوقات في القرآن، الأستاذ عثمان أبو النصر، ص:١٨.

مريم حسن الكندري
كاتبة وباحثة

الكـون وعجائبه

الإسـلام دين سماوي أنزله الله تعالى على النبي محمد ﷺ، والحمدالله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعم، فالإسلام ليس مجرد دين حق، إنما هو منهج حياة، ينظم علاقة الإنسان بربه، وينور بصيرة الإنسان ويجعله يفكر ويتأمل في خلق الله وقدرته.

وكما أنعم الله علينا بالإسلام أنعم علينا بالعقل، وجعلنا نفكر ونستشعر خلقه، وربط بيننا وبين الأرض والسماء، وإن الإسلام دين يدعو إلى التفكير في خلق الله وعظمته، ومن أبرز آيات الله في الكون ما في السماء والفضاء من كواكب ونجوم ومجرات، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (آل عمران:١٩٠).

فإن الإسلام لا يعارض العلم بل يدعو إليه، ويرى الفضاء دليلا على عظمة الله، ويحث على دراسته واكتشافه بما يعود بالنفع على الأمم، كما أنه استشهد على ذلك في العديد من الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىٍ۟ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات:٤٧)، وهذه الآية تشير إلى توسع الكون، وأيضا قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس:٤٠) وتشير هذه الآية أيضا إلى خلق الله في الفضاء.

فهناك العديد من العلماء المسلمين الذين اشتغلوا في علم الفلك مثل البيروني والفرغاني، وقد ساهم البيروني كثيرا عن طريق الأبحاث التي قام بها عن المراصد الفلكية، وأضاف إلى العالم بعلمه، حيث إنه كان يصنع الآلات الفلكية التي يقيس بها ارتفاع الشمس ويجري حسابات رياضية من خلالها يتنبأ بالخسوف القمري.

أما الفرغاني، فهو من شرح نظرية بطليموس في الفلك، وقد كتب كتابه الشهير «جوامع علم النجوم والحركات السماوية»، ويعد هذا الكتاب شرحا مبسطا ودقيقا لأفكار العالم اليوناني بطليموس عن الكون، وأيضا قد قاس محيط الأرض بشكل قريب، وحسب أبعاد الكواكب والمسافات بينها بطريقة علمية مثيرة، بالإضافة إلى مساهمته في تعديل وتصحيح الأخطاء الشائعة في علم الفلك، فقد كان يرى الكون نظاما يدل على عظمة الخالق.

ويمكننا أن نتبين أن الإنسان استطاع أن يتفوق على جميع المخلوقات، فقد استطاع أن يروض الحيوانات ويستدرجها، وأن يشق الترع والجسور ويصنع الفلك التي تجوب المحيطات ويصنع سفن الفضاء التي يكتشف بها الفضاء، ولم يكتف بذلك بل أرسل سفنا

فضائية[1].

الإسلام شجع على التأمل في خلق السماوات، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ (ق:٦)، رفعها الله بدون عمد، وزينها بالكواكب، وحفظها من أي تصدع أو تشقق أو تفتق.

فقوله: فروج جمع فرج، وهو الشق بين الشيئين.

والمراد سلامتها من كل عيب وخلل.

ومن الآيات التي وردت في هذا المعنى قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك:٣-٤).

ويعد الفضاء عالما كبيرا وواسعا من مخلوقات الله، ومنها الشمس والقمر والنجوم والمجرات والنيازك، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ (الشمس:١)، حيث إن الشمس تعتبر أقرب نجم إلى الأرض وهي المصدر الرئيسي للضوء والحرارة في كوكبنا، وإذا تمعنا قليلا فسنعلم أن الشمس لها علاقة بالعبادات، فهي تساعد على تحديد أوقات الصلاة عن طريق حركتها، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ (يس:٣٨)،

ومن رحمة الله بعباده أنه جعل المسافة التي بين كوكب الأرض والشمس تقارب ١٥٠ مليون كيلومتر، وهذه المسافة من حكمة الله تعالى، حيث إن قرب الشمس للأرض قد يسبب ارتفاع حرارة الأرض بشكل لا يحتمل، واحتراق الكائنات الحية، وتبخر البحار والمحيطات، يعني انتهاء وانعدام الحياة تماما، والعكس تماما، حيث إن بعدها يعد كارثة، وهذا يعني أن وجود الشمس بهذا البعد ليس مجرد صدفة بل هو تقدير دقيق ورحمة عظيمة من الله عزوجل، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣١ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء:٣١-٣٢)، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ (يس:٣٩)، أي إن الله رتب له مسارا ومنزلة دقيقة لا يتعداها، فقد كرم الله البشرية عندما أبعد القمر ، لأن بقربه سيختل توازن الأرض، وترتفع الأمواج والمد والجزر بشكل خطير، والأهم من ذلك تأثيره على الوقت والفصول، أي إن القمر له دور غير مباشر في تنظيم الوقت وحركة الأرض، وهذا يعني أن له تأثيرا على طول الأيام والليالي وتوزيع الفصول.

وعندما نواصل تمعننا في الكون، نجد أن الله قد ذكر النجوم في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الملك:٥). وتذكرنا النجوم بعظمة هذا الكون الواسع، وبأن كل شيء فيه يسير بأمر الله وحكمته. فالنجوم ليست للزينة فقط، بل فيها دروس إيمانية وعلمية تدعو الإنسان إلى التفكر في خلق الله. فهي زينة للسماء، وهي شهب محرقة لمسترقي السمع من الشياطين، كما أنها بأمر من الله تهدي البشرية وتنير دربهم في الظلمات، قال سبحانه: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل:١٦)، فقد كان الناس قديما يستهدون بها في السفر في الصحراء والبحر، حيث لا علامات ولا طرق وهذا من نعم الله سبحانه. ولم يقف الإسلام عند الإيمان بالنجوم فقط كزينة وهداية، بل دعا الناس إلى التفكر في خلقها، لأن في ذلك زيادة في الإيمان. فالنجوم تتكون من نار شديدة الحرارة، وتبعد عنا بمسافات شاسعة، لكنها تصل إلينا بنورها، وهذه معجزة عظيمة تستحق التأمل.

وفي هذا الكون العديد من الأمور التي تجعلنا نستشعر عظمة وقدرة الله تعالى في ملكوته، فنحمد الله ونشكره على نعمه علينا، ونحثكم على الاستشعار في عظيم نعمه والتفكر في ملكوت السماوات والأرض، وشكره على تميزنا بنعمة العقل التي بها نفرق بين الحق والباطل، ونتأمل فيها آيات الله حولنا، وإن بالتأمل يزداد إيماننا في خلق الله، ويحيا القلب ويقترب العبد من ربه.

الهوامش

١- كتاب استكشاف الأرض والكون للكاتب إسحاق عظمون، ص:١٥.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
AL-Waei AL-islami
عامًا ٦٠

مها العنزي
كاتبة وباحثة



القرآن والظواهر الكونية: بين الإعجاز والعلم

القرآن كتاب هداية لكنه لا يخلو من إشارات علمية مذهلة تدعو الإنسان إلى التفكر في الكون وظواهره. وقد أشار القرآن إلى عدد من الظواهر الكونية بدقة لافتة سبقت ما توصل إليه العلم الحديث بقرون مما أثار إعجاب العلماء.

إن العلاقة بين القرآن والعلم ليست علاقة تعارض بل علاقة تكامل وانسجام، حيث يدعو القرآن إلى النظر في خلق السماوات والأرض والآيات الكونية، ويحث على استخدام العقل والتفكير، وفي هذا الإطار جاء مفهوم الإعجاز العلمي ليربط بين النص القرآني الثابت والحقيقة العلمية المؤكدة، وقد اختلف أهل العلم في بيان مفهوم الإعجاز العلمي للقرآن وذكروا أقوالا مختلفة.

تعريف الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

عرفه الدكتور غانم قدوري الحمد فقال: «الإعجاز العلمي يتناول دراسة الآيات التي وردت فيها إشارة إلى قضايا علمية تتعلق بالفلك أو الطب أو علمي النبات والحيوان ونحوهما»[1].

وعرفه صلاح عبدالفتاح الخالدي بقوله: «أن نعتبر تلك المضامين والأبعاد والإشارات والحقائق العلمية لتلك الآيات وجها من وجوه الإعجاز القرآني ونسميه الإعجاز العلمي ونضيفه إلى وجوه الإعجاز الأخرى»[2].

ومن أمثلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: (نشوء الكون) الانفجار العظيم.

تفسير الآية العلمي

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ (الأنبياء:٣٠).

تشير إلى أن السماوات والأرض كانتا شيئا واحدا (رتقا) ثم انفصلتا (فتقا) وهو ما يشبه نظرية الانفجار العظيم في بداية نشوء الكون.

«الجبال كالأوتاد»

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (النبأ:٧).

تفسير الآية العلمي: الجبال لها جذور عميقة تحت الأرض كالأوتاد. وهذا ما أكدته دراسات الجيولوجيا فهي تثبت الأرضية وتوازنها.

مفهوم الظواهر الكونية

الظواهر الكونية هي الأحداث الطبيعية التي تقع في الكون وتشمل كل ما يحدث في السماوات والأرض من نظم وحركات مثل دوران الكواكب، تعاقب الليل والنهار، المطر، الرياح، الزلازل، البراكين، المد والجزر، وقد ورد العديد من الآيات التي تصف بعض الظواهر الكونية بطريقة تدعو للتأمل والتفكر.

تعاقب الليل والنهار

يعد تعاقب الليل والنهار من أعظم الظواهر الكونية التي يعيشها الإنسان يوميا، فهي ظاهرة ناتجة عن دوران الأرض حول محورها بحيث يتغير موقع الشمس في السماء بالنسبة للمكان على سطح الأرض مما يؤدي إلى ظهور النهار عند سطوع الشمس والليل عند غيابها، وقد وردت هذه الظاهرة في العديد من آيات القرآن الكريم كدليل على قدرة الله سبحانه وتعالى وعلى النظام الدقيق الذي يسير به هذا الكون.

تعاقب الليل والنهار في القرآن

ورد ذكر تعاقب الليل والنهار في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وغالبا ما يرتبط التعاقب بالتفكر بقدرة الله، ومن هذه الآيات: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (آل عمران:١٩٠).

تشير هذه الآية إلى أن تعاقب الليل والنهار دليل على عظمة الخالق، وهي آية تدعو أصحاب العقول الواعية للتفكر وهي كذلك دعوة مفتوحة لاستخدام العقل في النظر إلى الكون كدليل على وجود الله سبحانه تعالى، وهي تذكير بأن الكون ليس عشوائيا بل مخلوق بقدر وحكمة ومن يتفكر فيه بإخلاص سيجد في نفسه نورا من اليقين والإيمان.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (الفرقان:٦٢).

الليل والنهار متعاقبان يخلف أحدهما الآخر وفي ذلك فرصة للشكر والذكر والعبادة، وفسرها عبدالرحمن بن ناصر السعدي. «﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يذهب أحدهما فيخلفه الآخر، هكذا أبدا لا يجتمعان ولا يرتفعان. ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أي: لمن أراد أن يتذكر بهما ويعتبر ويستدل بهما على كثير من المطالب الإلهية ويشكر الله على ذلك، ولمن أراد أن يذكر الله ويشكره وله ورد من الليل أو النهار، فمن فاته ورده من أحدهما أدركه في الآخر، وأيضا فإن القلوب تتقلب وتنتقل في ساعات الليل والنهار فيحدث لها النشاط والكسل والذكر والغفلة والقبض والبسط والإقبال والإعراض، فجعل الله الليل والنهار يتواليان على العباد ويتكرران ليحدث لهم الذكر والنشاط والشكر لله في وقت آخر، ولأن أوراد العبادات تتكرر بتكرر الليل والنهار، فكما تكررت الأوقات أحدث للعبد همة غير همته التي كسلت في

الوقت المتقدم فزاد في تذكرها وشكرها، فوظائف الطاعات بمنزلة سقي الإيمان الذي يمده».

اتساع الكون

كلما يتفكر الإنسان في اتساع الكون ونظامه ينذهل من عظمة الله سبحانه وتعالى، وأن الكون من أعظم مخلوقات الله، ومن أكثر الظواهر الكونية إذهالا ما كشفه العلم الحديث من أن الكون ليس ثابتا بل في حالة اتساع مستمر، هذه الحقيقة العلمية لم تكن معروفة قديما حتى أثبتها علماء الفلك.

اتساع الكون في القرآن الكريم

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات:٤٧).

هذه الآية فيها إشارة إلى اتساع الكون وتدل على عظمة الخالق وقوة قدرته وأن كل ما في السماء والأرض خاضع لأمره وتقديره، وهي من الآيات التي تأملها العلماء في ضوء علم الفلك الحديث. القرآن الكريم أشار في هذه الآية إلى توسع الكون منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة بلفظ «لموسعون» وهو ما يعد من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

نزول المطر

خلق الله سبحانه وتعالى الكون بنظام دقيق يثير العقول ويوقظ القلوب ويدعو الإنسان إلى التفكر في هذه النعم والظواهر من حوله، ومن أعجب ما في هذا الكون حركة السحب ونزول المطر وتعاقب الليل والنهار.

نزول المطر في القرآن الكريم

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ (النور:٤٣).

دعوة للتفكر في ظاهرة المطر والسحب وتعاقب الليل والنهار، وهذه الآية الكريمة تصف تكون المطر بدقة علميه عالية (تجمع جزيئات البخار لتكوين السحب ثم تراكم السحب وتكاثفها ثم نزول قطرات الماء (الودق) بفعل التبريد والتكاثف)، وهذه المراحل تتطابق تماما مع ما توصل إليه علم الأرصاد الجوية الحديث.

ومن هنا ندرك أن آية واحدة من القرآن الكريم دليل كاف لتفتح أمامنا آفاقا عظيمة من العلم والإيمان، وأن القرآن يدعو للتفكر والتأمل في خلق الله عز وجل وإدراك عظمته وقدرته، وأن القرآن سابق للعلم الحديث وما ورد في القرآن الكريم من إشارات كونية جميعها توافقت مع العلم الحديث مما يعد من وجوه الإعجاز التي تزيد المؤمن يقينا.

والربط بين الظواهر الكونية والإعجاز العلمي في القرآن يجعلنا نؤكد أن العلم والإيمان لا يتعارضان بل يتكاملان فكلما تقدم العلم ازداد العقل البشري إدراكا لما في القرآن من حقائق وإشارات تدعو إلى الإيمان بالخالق العظيم.

القرآن كتاب هداية والعلم وسيلة لفهم بعض جوانب هذه الهداية، وعلينا أن نحمد الله ونشكره على نعمة التفكر والتأمل التي تجعل الإنسان أقرب إلى خالقه.

الهوامش

١- غانم الحمد القدري، محاضرات في علوم القرآن، الأردن، دار عمار للنشر، ط:١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص:٢٤٩

٢- صلاح عبدالفتاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، دار عمار للنشر والتوزيع، ط:٤، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص:٨

عام
سنوات
مجلة كويتية ثهرية جامعة
الوعي الإسلامي
AL-Wa'i AL-islami
تأسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

ملف العدد

في المطيري
كاتبة وباحثة

حين تحدث القرآن..
وأنصتت مراكز الفضاء

يعد الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أحد أبرز وجوه تفرده، إذ يتجلى في توافق نصوصه مع الحقائق العلمية التي لم تكتشف إلا بعد قرون طويلة من نزوله (الزنداني، ١٩٨٩). ومن بين آيات الله الكونية، يبرز الكون والفضاء كنموذج فريد لهذا الإعجاز، حيث يعكسان عظمة الخالق وقدرته المطلقة. الكون، بما يحمله من دقة ونظام وإبداع إلهي، ميدان شاسع للتأمل يعزز إيمان المؤمنين ويقدم دليلا قاطعا لكل من يشكك في قدرة الله عز وجل. وفي قلب هذا الإعجاز، يقف القرآن الكريم، المعجزة الخالدة، شاملا مظاهر الكون واصفا إياها بدقة متناهية، من أعلى السماوات إلى أدق التفاصيل في أعماق الأرض، مقدما إجابات لتساؤلات البشرية عبر العصور.

الكون في القرآن: إشارات سبقت العلم

يحفل القرآن الكريم بإشارات كونية دقيقة لم يدركها العلماء إلا في العصر الحديث، مما يبرز تفرد القرآن ويؤكد مصدره الإلهي. فعلى سبيل المثال، يقول الله تعالى:

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات:٤٧).

تشير هذه الآية بوضوح إلى تمدد الكون، وهي حقيقة لم يثبتها العلم إلا في القرن العشرين مع اكتشاف إدوين هابل لقانون تمدد الكون عام ١٩٢٩ (Hubble، ١٩٢٩). هذه الإشارة ليست محض مصادفة، بل دليل على أن القرآن كلام الله الذي يعلم سر السماوات والأرض (ابن كثير، ١٩٩٩).

ومن الأمثلة الأخرى قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ (القمر:٤٩)، تبرز هذه الآية الدقة المتناهية في خلق الكون، وهو ما يعرف اليوم بـ«الثوابت الكونية الدقيقة» (Fine-Tuning). فلو اختلت نسبة واحدة من هذه الثوابت -مثل قوة الجاذبية أو الشحنة الكهرومغناطيسية- لما أمكن وجود الكون أو الحياة (Barrow & Tipler، ١٩٨٦).

قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦﴾ (الواقعة:٧٥-٧٦)، تشير هذه الآية إلى مواقع النجوم، وهي حقيقة فلكية دقيقة، إذ يؤكد علم الفلك الحديث أن الضوء الذي نراه من النجوم يعكس مواقعها القديمة بسبب المسافات الهائلة التي يقطعها (Weinberg، ٢٠٠٨).

رحلة برونو غيدردوني من الفلك إلى الإيمان

من الأمثلة الملهمة على تأثير الإعجاز العلمي في القرآن قصة العالم الفرنسي برونو غيدردوني، الذي تحول من عالم فلك بارز إلى مسلم مؤمن يحمل اسم «عبدالحق». كان غيدردوني أحد كبار المتخصصين في علم الكونيات، وتحديدا في دراسة تكون المجرات، وشغل مناصب مرموقة في المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي (CNRS). اشتهر بعمقه العلمي ودقته في البحث، وكان يعنى بدراسة الكون بأحدث الأدوات العلمية (Guiderdoni، ٢٠٠٠)، لكن رحلته العلمية لم تقتصر على المختبرات والتلسكوبات، بل امتدت إلى رحلة روحية عميقة قادته إلى الإسلام.

بدأت نقطة التحول في حياة غيدردوني عندما اطلع على قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، أذهلته الآية لتطابقها مع قانون هابل لتمدد الكون، الذي لم يكتشف إلا بعد أكثر من ألف عام من نزول القرآن. لم يجد غيدردوني تفسيرا منطقيا لهذه الحقيقة العلمية في كتاب نزل في القرن السابع الميلادي، سوى أن يكون وحيا إلهيا (Guiderdoni، ٢٠٠٠). ولم تكن هذه الآية وحدها، بل اكتشف في القرآن العديد من الإشارات التي تتسق مع أحدث الاكتشافات العلمية، مثل وصف مراحل خلق الجنين وحركة الأرض. هذه الإشارات دفعته إلى البحث العميق في الإسلام، ليعلن إسلامه في الثمانينيات، حاملا اسم «عبدالحق» تعبيرا عن إيمانه بحقيقة الوحي الإلهي.

لم يكتف غيدردوني باعتناق الإسلام، بل جعل من علمه وسيلة للدعوة، حيث شارك في مؤتمرات علمية إسلامية، وكتب مقالات وألقى محاضرات تبرز الانسجام بين العلم والإيمان. كما أسهم في تأسيس مراكز بحثية تهدف إلى تعزيز الحوار بين العلم والدين، مؤكدا أن القرآن يقدم رؤية كونية شاملة

تحترم العقل وتلهم الروح (Guiderdoni، ٢٠٠٠).

الانسجام بين العلم والوحي

لم ير غيدردوني في الإسلام تعارضا مع العلم، بل وجد فيه إطارا متكاملا يعزز التفكير العقلي والتأمل في الكون. في إحدى محاضراته قال:

«القرآن لا يقدم حقائق علمية فحسب، بل يمنح الإنسان غاية ومعنى لوجوده في هذا الكون الشاسع» (Guiderdoni، ٢٠٠٠).

هذا المنظور جعله يحول علمه إلى وسيلة للدعوة إلى الله، حيث شارك في العديد من المؤتمرات العلمية الإسلامية، ودافع عن الرؤية الإسلامية التي تجمع بين العلم والإيمان في تناغم فريد (Bucaille، ١٩٧٦).

إن قصة غيدردوني تظهر كيف يمكن للإعجاز العلمي في القرآن أن يكون جسرا إلى الهداية، حيث يتحول العقل العلمي المتشكك إلى قلب مؤمن يرى في كل آية دليلا على عظمة الخالق.

الإعجاز العلمي: جسر إلى الهداية

لم يكن غيدردوني حالة استثنائية، فقد وجد العديد من العلماء في القرآن إشارات علمية سبقت عصرهم بقرون. فعلى سبيل المثال، يصف القرآن مراحل تكون الجنين بدقة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ (المؤمنون:١٤)، تتفق هذه الآية مع اكتشافات علم الأجنة الحديث (Moore & Persaud، ٢٠٠٨). كذلك، تشير الآية:

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ (النمل:٨٨) إلى حركة القشرة الأرضية، وهي حقيقة لم تثبت إلا مع تطور علم الجيولوجيا (Press & Siever، ٢٠٠١). هذه الإشارات تؤكد أن القرآن ليس مجرد كتاب ديني، بل هو مصدر معرفة شامل يتحدى حدود الزمن.

القرآن: معجزة الله الخالدة

إن الإعجاز العلمي في القرآن ليس مجرد سرد للحقائق العلمية، بل هو دعوة للتأمل في عظمة الخالق ودليل على صدق الرسالة المحمدية. القرآن الكريم ليس كتابا للعلماء فقط، بل هو هداية للبشرية جمعاء، يدعوها إلى التفكر في ملكوت الله والاعتزاز بالهوية الإسلامية (Bucaille، ١٩٧٦). يتجاوز القرآن حدود الزمان والمكان، مقدما رؤية شاملة تجمع بين البلاغة البيانية والدقة العلمية (الزنداني، ١٩٨٩).

كل اكتشاف علمي جديد يجد مرجعه في القرآن، سواء في وصف الكون، خلق الإنسان، أو ظواهر الطبيعة. فالتدبر في آيات القرآن ليس واجبا دينيا فحسب، بل هو دعوة لربط العلم بالإيمان، والعقل بالقلب.

إن الإعجاز العلمي في القرآن يظهر أن الإسلام دين العقل والروح، يحث على البحث والتفكير، ويقدم إطارا متكاملا لفهم الكون والحياة. ومن خلال قصص مثل قصة غيدردوني، نرى كيف يمكن للقرآن أن يلهم العلماء وغير العلماء على حد سواء، ليصبح جسرا إلى الهداية ومنارة للإنسانية. فلنحتف بالقرآن، معجزة الله الخالدة، ولنستمر في استكشاف أسراره، ففي كل آية دليل على عظمة الخالق وحكمته، وفي كل كلمة نور يهدي إلى الحق.

المراجع

1- Barrow, J. D., & Tipler, F. J. (1986). The Anthropic Cosmological Principle. Oxford University Press.

2- Bucaille, M. (1976). The Bible, the Qur'an, and Science: The Holy Scriptures Examined in the Light of Modern Knowledge. Dar Al-Maaref.

3- Guiderdoni, B. (2000). Islam, science, and the challenge of modernity. In Science and Religion in the 21st Century (pp. 45-60). Islamic Foundation.

4- Hubble, E. (1929). A relation between distance and radial velocity among extra-galactic nebulae. Proceedings of the National Academy of Sciences, 15(3), 168-173.

٥- ابن كثير، (١٩٩٩)، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع.

6- Moore, K. L., & Persaud, T. V. N. (2008). The Developing Human: Clinically Oriented Embryology (8th ed.). Saunders.

7- Press, F., & Siever, R. (2001). Understanding Earth (3rd ed.). W.H. Freeman.

8- Weinberg, S. (2008). Cosmology. Oxford University Press.

٩- عبدالمجيد الزنداني، (١٩٨٩)، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مؤسسة الفرقان.

نجاح عبدالقادر محمد سرور
شاعر وكاتب

وانشق القمر

القمر آية عظيمة من آيات الله، ودليل عظمتها قسم الله تعالى به حيث قال: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ (المدثر:٣٢)، وقال سبحانه: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ (الشمس:٢)، ولا يقسم الله تعالى إلا بعظيم، ولذا سميت سورة كاملة في القرآن العظيم باسم «القمر».

أما كونه آية من آيات الله فذلك ثابت قرآنا وسنة يقول سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ (فصلت:٣٧)، وفي الصحيحين عن أبي مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتموهما فصلوا»[١].

تسخيره

القمر مسخر بأمر الله قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف:٥٤)، فبه نهتدي في ظلمات البر والبحر، وبه تتم عمليتا المد والجزر في البحار والمحيطات، وبه نعرف مطالع الشهور: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ (البقرة:١٨٩)، وبهلاله نبدأ الصوم ونبدأ الفطر ليلة العيد، يقول الرسول ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غمي عليكم الشهر فعدوا ثلاثين»[٢].

منازله

ولقد قدره الله منازل، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ (يس:٣٩)، قال: «هي ثمانية وعشرون منزلا ينزلها القمر في كل شهر: أربعة عشر منها شامية، وأربعة عشر منها يمانية، أولها الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والدبرة والصرفة والعواء والسماك، وهو آخر الشامية، والغفر والزبانا والإكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية ومقدم الدلو ومؤخر الدلو والحوت، وهو آخر اليمانية، فإذا سار هذه الثمانية وعشرين منزلا عاد كالعرجون القديم كما كان في أول الشهر»[٣]. فهو كما قال الله تعالى يبدأ كالعرجون القديم وينتهي كالعرجون القديم، ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾، وهو سابح في فلك يوحد الله ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس:٤٠)، والقمر يسجد لله مع الساجدين: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ (الحج:١٨)، إنه يسجد لله في مراحله وأطواره؛ هلالا، فبدرا، فمحاقا.

معجزة انشقاق القمر

ولأن القمر تحت أمر الله، وسابح في فلك طاعته، خضع لأمر الله فانشق لمحمد ﷺ ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ (القمر:١)، فكانت معجزة باهرة، وعلامة من علامات اقتراب الساعة، ودليلا ساطعا على صدق رسول الله ﷺ في رسالته، عن عبدالله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله شقتين، فقال النبي: «اشهدوا»[٤]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما»[٥]. وعن عبدالله بن مسعود قال: «انشق القمر على عهد رسول الله، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة. قال: فقالوا انظروا ما يأتيكم به السفار، فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، قال: فجاء السفار فقالوا ذلك»[٦].

وقد أكد علماء الفضاء والفلك في وكالة ناسا أن هناك فعلا شقا طوليا في جسم القمر.

العلاقة بين رسول الله والقمر

إن هذه المعجزة الباهرة ليست أول العلاقة بين رسول الله ﷺ والقمر، بل العلاقة بينهما بدأت منذ ولادته عن العباس بن عبدالمطلب قال: قلت: «يا رسول الله! دعاني إلى الدخول في دينك أمارة لنبوتك، رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه بأصبعك، فحيث أشرت إليه مال» قال: «إني كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء، وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش»[٧].

وجهه والقمر

وهناك علاقة وثيقة بين وجه رسول الله ﷺ والقمر، عن أبي إسحاق، قال: «سئل البراء أكان وجه النبي ﷺ، مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر»[٨]. وفي حديث كعب بن مالك وتوبة الله عليه يصف وجه رسول الله ﷺ قائلا: «وكان إذا استبشر استنار وجهه، حتى كأنه قطعة من القمر»[٩]. وعن جابر بن

سمرة، قال: «رأيت رسول الله في ليلة إضحيان، فجعلت أنظر إلى رسول الله وإلى القمر وعليه حلة حمراء، فإذا هو عندي أحسن من القمر»[١٠].

رؤيا صفية أم المؤمنين

وهذه أم المؤمنين صفية بنت حيي تراه ﷺ في منامها على هيئة القمر قبل زواجها به، فقد رأى رسول الله بعين صفية خضرة فقال: «يا صفية ما هذه الخضرة. فقالت: كان رأسي في حجر ابن حقيق وأنا نائمة، فرأيت كأن قمرا وقع في حجري، فأخبرته بذلك فلطمني وقال: تمنين ملك يثرب»[١١].

استقبال أهل المدينة له

ولما هاجر ﷺ إلى يثرب استقبله أهلها، وما وجدوا تشبيها له حين رأوه أفضل من تشبيهه بالبدر، قال البيهقي عن ابن عائشة قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع[١٢].

دعاؤه إذا رأى هلال القمر

عن طلحة بن عبيدالله، أن النبي كان إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله»[١٣].

صلاة الكسوف والخسوف

ولأنه ﷺ كان حريصا على ألا يحرمنا الله تعالى من نور القمر؛ شرع لنا إذا ما خسف أن نصلي صلاة الكسوف والخسوف، والجمهور من العلماء على أنها ركعتان، في كل ركعة ركوعان وسجودان؛ عن عائشة أنها قالت: خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ، فصلى رسول الله ﷺ بالناس، فقام، فأطال القيام، ثم ركع، فأطال الركوع، ثم قام فأطال القيام وهو دون القيام الأول، ثم ركع فأطال الركوع وهو دون الركوع الأول، ثم سجد فأطال السجود، ثم فعل في الركعة الثانية مثل ما فعل في الأولى، ثم انصرف وقد انجلت الشمس، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك، فادعوا الله، وكبروا وصلوا وتصدقوا»[١٤].

القمر في كلام رسول الله ﷺ

لقد كان القمر حاضرا في تشبيهات رسول الله ﷺ وهو يقرب المعاني لصحابته؛ فشبه فضل العلماء على العباد بفضل القمر على سائر الكواكب، فقال: «وإن فضل العالم على العابد، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[١٥].

وشبه شعاع صبح ليلة القدر بالقمر، عن عبادة بن الصامت مرفوعا يصف ليلة القدر: «إنها صافية بلجة كأن فيها قمرا ساطعا، ساكنة صاحية لا حر فيها ولا برد، ولا يحل لكوكب يرمى به فيها، ومن أماراتها أن الشمس في صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ»[١٦].

وشبه وجوه أول زمرة تدخل الجنة بالقمر ليلة البدر، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا»[١٧].

وعن سهل بن سعد، عن النبي ﷺ، قال: «ليدخلن من أمتي سبعون ألفا، أو سبع مئة ألف، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»[١٨].

إن رسول الله ﷺ كي يقرب لصحابته كيفية رؤيتهم لله تعالى في الجنة لم يجد أفضل وأحسن من القمر ليقرب به مفهوم الرؤية دون تشبيه، عن جرير بن عبدالله، قال: «كنا عند النبي، فنظر إلى القمر ليلة -يعني البدر- فقال: «إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ (ق:٣٩)»[١٩]، إن هذه الآية العظيمة آية انشقاق القمر تجعلنا نشمر عن ساعد الجد طاعة وإقبالا على الله لأن انشقاق القمر علامة من علامات اقتراب الساعة، فماذا أعددنا لها؟ خطب حذيفة فقال: ألا إن الله يقول: اقتربت الساعة وانشق القمر، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق، ألا وإن الغاية النار، والسابق من سبق إلى الجنة[٢٠].

الهوامش

١- البخاري، ٣٨/٢.
٢- مسلم، ٧٦٢/٢.
٣- فتح القدير للشوكاني، ٤٢٦/٤.
٤- البخاري، ٢٠٦/٤.
٥- البخاري، ٤٩/٥.
٦- ابن كثير، ٤٣٩/٧.
٧- البداية والنهاية، ٢٦٦/٢.
٨- البخاري، ١٨٨/٥.
٩- البخاري، ٧٠/٦.
١٠- الترمذي، ١١٨/٥.
١١- السنن الكبرى للبيهقي، ٩م، ٢٣١.
١٢- البداية والنهاية، ١٩٧/٣.
١٣- الترمذي، ٥٠٤/٥.
١٤- البخاري، ٣٤/٢.
١٥- أبو داود، ٣١٧/٣.
١٦- راوه أحمد، انظر: فتح الباري لابن حجر، ٢٦٠/٤.
١٧- البخاري، ١١٨/٤.
١٨- السابق.
١٩- البخاري، ١١٥/١.
٢٠- ابن كثير، ٤٣٧/٧.

ملف العدد



هالة محمود
كاتبة وباحثة

المطر والفضاء في الإسلام:
حوار بين الأرض والسماء

منذ فجر الإسلام، ارتبط المطر والسماء ارتباطا وثيقا لا يقتصر على الجانب العلمي بل يشمل البعد الروحي والتأملي. ففي نصوص الإسلام، ليس المطر مجرد ظاهرة جوية، بل هو «غيث» ينزل بأمر إلهي، له علاقة بمشيئة الخالق، ويعكس انسجام الكون بإرادة الله، التي تشمل الأرض وما فوقها من سماء ونجوم وأفلاك.

المطر في القرآن الكريم

ورد ذكر المطر والماء في أكثر من موضع في القرآن، مع ربطه بالإحياء والطهارة والبعث، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ (الفرقان:٤٨)، يشير إلى نقاء المطر وقدرته على التطهير.

وقال أيضا: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ (الأنعام:٩٩)، يربط بين الماء والإنبات، كدورة حياة أساسية للكون.

المطر في السنة النبوية

أبرزت الأحاديث النبوية المكانة الروحية للمطر، ومنها: عن النبي ﷺ أنه كان يكشف بعض جسده إذا نزل المطر ويقول: «إنه حديث عهد بربه» (رواه مسلم)، تعبيرا عن قرب خلق المطر من أمر الله.

- الدعاء عند نزول المطر: «اللهم صيبا نافعا» (رواه البخاري ومسلم).

كما يعتبر وقت نزول المطر من الأوقات التي تستجاب فيها الدعوات، لما ورد عن النبي ﷺ: «اثنتان ما تردان: الدعاء عند النداء، وعند نزول الغيث» (رواه أبو داود).

البعد البيئي والاجتماعي

المطر يمثل مصدرا أساسيا للزراعة، خصوصا في المناطق الجافة والصحراوية، وقد دفع المسلمون قديما نحو:

- إنشاء السدود والقنوات لجمع ماء المطر.
- تطوير تقنيات «الزراعة المطرية» في الأندلس والمغرب والشام.
- تشجيع السلوكيات البيئية مثل ترشيد المياه وعدم التبذير.

وقد انعكس ذلك في كتب الحسبة والفقه التي نظمت استخدام المياه بطريقة عادلة بين الناس.

المطر فرصة إيمانية وتأملية

يمنح نزول المطر المسلم شعورا بالطمأنينة والتجدد، وهو فرصة للتقرب والدعاء، حيث يحمل رمزية الأمل والخير القادم من السماء.

كما ينظر إليه كمشهد يوقظ في القلب فكرة قدرة الله على الإحياء والتغيير، تماما كما تحيي الأرض بعد موتها.

المطر في الشعر والأدب الإسلامي

- المطر كرمز للرحمة والرجاء
- يظهر المطر في كثير من النصوص كرسالة سماوية حاملة للخير بعد القحط واليأس.
- قال الشاعر الأندلسي ابن زيدون:

كـأن الـغـيـث يـسـري مـن دعـاء
تجـلـى واسـتـجـاب لـه الـسـمـاء

المطر كصورة للتطهير والتجدد

- يستدعى المطر في الشعر بوصفه عنصرا للتوبة وغسل الذنوب، وهو ما يظهر في قصائد الزهاد.
- ومن أقوال الحسن البصري المنقولة في الأدب الوعظي: «ما نزل المطر إلا ليطهر الأرض، فلنطهر نحن ما في القلب».

المطر في الشعر العربي الإسلامي

- في القصائد الإسلامية، يرتبط المطر بالخصوبة، الجمال، وعودة الأمل.
- ومن شعر أبي العلاء المعري:

كـأن الـغـيـث فـي دجـى الـظـلام
بـشـارة فـجـر فـي قـلـب الأيـام

المطر والفضاء: حين تلتقي قطرات الأرض بأسرار الكون في عالمنا الأرضي، نعرف المطر كظاهرة ناتجة عن تبخر الماء وتكاثفه في الغيوم ثم سقوطه على سطح الأرض. لكن كيف ينظر إلى المطر من منظور فضائي؟ وهل يمكن أن يؤثر الفضاء على أنماط الأمطار، أو يحتوي على نسخ «فضائية» منها؟ هذه الأسئلة دفعت العلماء والباحثين إلى دراسة الظواهر الجوية والكونية وتقاطعاتها بدقة متناهية.

تأثير الفضاء على مناخ الأرض

تشير الدراسات إلى أن النشاط الشمسي والأشعة الكونية قد تؤثر على تكون الغيوم ونمط الأمطار على الأرض:

- تقترح نظرية الأشعة الكونية – Cosmic Ray Theory أن جزيئات الفضاء قد تساهم في تكوين نوى التكاثف السحابي، مما يؤثر على معدلات هطول المطر.

الفضاء والمطر من منظور علمي إيماني

- الفلك الإسلامي لم يفصل العلم عن الدين، فقد استخدم المسلمون الرصد الفلكي لتحديد المواقيت الزراعية، ومنها وقت نزول المطر.
- العلماء، مثل البيروني والزرقالة، درسوا تأثير حركة الكواكب على الطقس، ضمن إطار يؤمن بأن الكون يسير بأمر الله.

خاتمة

يجمع الإسلام بين رؤية علمية وروحية للمطر والفضاء، حيث ينظر إلى كل منهما كآيات من آيات الله في الكون. وكل قطرة مطر تعد تجليا لأمر سماوي، وكل حركة في السماء تحكمها إرادة إلهية، ما يكون منظومة متناسقة من «الإحياء الأرضي» و«التدبير الكوني».

المراجع

- صحيح مسلم.
- كتاب الاستسقاء، صحيح البخاري.
- كتاب الدعاء، سنن أبي داود.
- كتاب «الحسبة في الإسلام»، ابن تيمية.
- «المختصر في أحكام المياه»، النووي.
- دراسات عن الزراعة الإسلامية في كتاب «حضارة العرب» للمستشرق غوستاف لوبون.
- ديوان ابن زيدون.
- «الزهد» للإمام أحمد بن حنبل.
- ديوان أبي العلاء المعري.
- Svensmark, H. (1998). «Influence of Cosmic Rays on Earth's Climate» – Physics Reports
- «الآيات الكونية في القرآن الكريم».
- «الفلك عند المسلمين».

محمد العمراوي
كاتب وباحث

الهوية الإسلامية في زمن العولمة:

تحديات الواقع وآفاق الوعي

في خضم التحولات المتسارعة التي يشهدها عالم اليوم، تقف الهوية الإسلامية أمام تحديات جسام تفرضها العولمة بمنظومتها الفكرية والثقافية والاقتصادية. فالعولمة، وإن كانت تحمل في ظاهرها دعوة إلى الانفتاح والتكامل بين الأمم، فإنها في باطنها تتسلل بوصفها أداة لبسط أنماط محددة من القيم والسلوكيات، تتعارض في كثير من وجوهها مع ثوابت الشريعة الإسلامية ومقومات الشخصية المؤمنة. وإذا كان الإسلام قد جاء برسالة عالمية تخاطب الإنسان في كل زمان ومكان، فإن هذه الرسالة تتسم بخصوصية عقدية وتشريعية وأخلاقية، تجعل من المحافظة على الهوية ضرورة شرعية ووجودية، لا مجرد موقف ثقافي عابر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٩)، وفي هذه الآية تأكيد على علو الشأن الإيماني والتميز المستمد من العقيدة، لا من التبعية والانصهار.

لقد أفرزت العولمة نماذج من التحديث القائم على القطع مع التراث، واستبدال القيم المادية والنفعية بالمرجعيات الدينية، مما أثر على وعي بعض المسلمين بأنفسهم وهويتهم، وجعل فئات منهم تميل إلى التقليد الأعمى للغرب في نمط العيش، ومظاهر الاستهلاك، بل وحتى في طرائق التفكير والتعبير. وهذا الوضع لا يعد انفتاحا

مشروعا، بل هو اغتراب ثقافي قد ينتهي إلى مسخ الشخصية وفقدان البوصلة. وإن من أبرز أوجه هذا التحدي ما نراه من محاولات لتهميش اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، وتقليص حضورها في المجال التعليمي والإعلامي، في حين أن الله عز وجل اختارها لتكون وعاء الوحي فقال:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف:٢)، وإن في ذلك دلالة على مركزية اللغة في حفظ الهوية وبناء التصور الحضاري.

وإذا كانت التحديات حاضرة، فإن سبل المواجهة كذلك ممكنة وميسرة، شريطة الوعي بطبيعة الصراع ومظاهره الناعمة والخفية. فلا بد من إعادة بناء الوعي الإسلامي لدى الفرد والمجتمع، على أسس تجمع بين الاعتزاز بالانتماء العقدي، والانفتاح الواعي على العالم دون التفريط في الثوابت. إن التربية الإسلامية في البيت، ومناهج التعليم، وخطاب المسجد، والإعلام الرشيد، كلها أدوات استراتيجية في تثبيت الهوية وصيانتها من الذوبان. وإن من الواجبات الكبرى اليوم العمل على غرس مفاهيم العزة والكرامة، والثقة في النموذج الإسلامي، والتأكيد على أن الإسلام ليس مجرد تراث، بل هو منهاج حياة ينظم كل جوانب الوجود البشري. قال النبي ﷺ: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه» (رواه الدارقطني)، وهي قاعدة ينبغي أن تغرس في النفوس، لا باعتبارها شعارا، بل حقيقة تترجم في الفكر والسلوك والموقف.

لقد أثبتت تجارب الشعوب المسلمة في كثير من بقاع الأرض أن التمسك بالهوية لا يعني الانغلاق، بل هو شرط للاستقلال الحضاري، والقدرة على الإسهام في الحضارة الإنسانية من موقع الندية لا التبعية. وإن التاريخ يشهد أن المسلمين، حين كانوا أوفياء لرسالتهم، كانوا أقدر الناس على التفاعل مع غيرهم من الأمم، دون أن يفرطوا في مبادئهم، أو يتنكروا لذاتهم. فالهوية الإسلامية لا تعني التقوقع، بل تعني الانطلاق من منطلق إيماني راسخ، يبقي المسلم متصالحا مع نفسه، واثقا بدينه، فاعلا في محيطه. وفي هذا المعنى يقول الحق سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران:١١٠)، وهو شرف لا يناله المسلم إلا إذا استجمع خصائص الأمة الخيرية: الإيمان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والثبات على الحق.

إننا أحوج ما نكون اليوم إلى خطاب ينمي وعي الأمة بذاتها، ويحررها من عقدة الدونية، ويستنهض طاقاتها في ظل عالم تتغير فيه المعايير وتتبدل فيه القيم. فليست الهوية الإسلامية عائقا أمام التقدم، بل هي ركيزة للإبداع والنهضة، متى ما أحسن فهمها وتفعيلها. وليس من الإنصاف أن ينظر إلى الإسلام من خلال سلوك المنحرفين عنه، بل من واجب أهل الفكر والدعوة أن يقدموه للناس بصورته المشرقة، كما بلغه النبي ﷺ قولا وفعلا. وما أحوجنا في هذا السياق إلى التذكير بقوله جل وعلا: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ (آل عمران:١٣٩)، وقوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ (هود:١١٢)، ففيهما دعوة إلى الثبات، ووعد بالنصر، لمن سار على الجادة.

فالعولمة قد تكون فرصة حين نحسن التعامل معها من موقع الثقة بالذات، وقد تكون تهديدا إذا دخلناها بوعي غائب وهوية مهزوزة. والمطلوب أن نجعل من الانفتاح وسيلة للتعريف برسالتنا، لا سببا في فقدان ذاتنا، وأن نكون كما أراد الله لنا: شهداء على الناس، بالحق، والعدل، والرحمة، والوسطية. وبذلك نحفظ هويتنا، وننفتح على العالم، دون أن نفقد بوصلتنا أو نذوب في غيرنا، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة:١٤٣).

د. محمد أحمد عنب
أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية



مسجد البيعة..
أحد شواهد السيرة النبوية العطرة

تعتبر المملكة العربية السعودية موطنا للعديد من المواقع والمعالم الأثرية التي تحظى بمكانة مقدسة وأهمية تاريخية كبيرة، نظرا لارتباطها الوثيق بأحداث ومواقف بارزة في السيرة النبوية الشريفة. ويبرز مسجد البيعة كواحد من أبرز هذه الشواهد التاريخية، حيث يحمل بين جنباته إرثا إسلاميا عريقا. فقد شهد هذا الموقع المبارك حدثا تاريخيا فارقا، وهو بيعة العقبة الأولى والثانية، التي بايع فيها أنصار المدينة المنورة النبي ﷺ على النصرة والتضحية بالنفس والمال والأهل في سبيل نشر دعوة الإسلام. وقد مثلت هذه البيعة نقطة تحول محورية في مسيرة الدعوة الإسلامية، حيث أسهمت في تسريع انتشارها وترسيخ قواعدها. وقد تم تشييد المسجد تخليدا لهذه الذكرى العظيمة، ليظل شاهدا حيا على هذا الحدث التاريخي الجليل. يتميز المسجد بتصميمه المعماري الفريد الذي يجمع بين الأصالة التاريخية والعمق الإسلامي، مما يجعله رمزا بارزا لتاريخ الإسلام العريق وإرثه الروحي.

موقع المسجد وسبب التسمية

يقع مسجد البيعة شمال جمرة العقبة، على بعد حوالي ٣٠٠ متر من يسار القادم من مكة المكرمة إلى منى، بالقرب من حي المعابدة، وعلى مسافة تقدر بنحو ٥ كم شرق مكة المكرمة. يتميز الموقع بقربه من جمرة العقبة، حيث يؤدي الحجاج مناسك الرمي خلال موسم الحج[1]. وقد سمي المسجد بـ«البيعة» نسبة إلى الحدث التاريخي العظيم الذي شهدته هذه البقعة المباركة، وهو بيعة العقبة الأولى والثانية، حيث بايع الأنصار النبي ﷺ على النصرة والتضحية في سبيل الإسلام. كما يعرف الوادي المجاور للمسجد باسم «شعب البيعة» أو «شعب الأنصار»، مما يبرز الأهمية التاريخية والروحية الفريدة لهذا المكان، الذي يظل شاهدا حيا على إحدى المحطات الفارقة في تاريخ الدعوة الإسلامية[2].



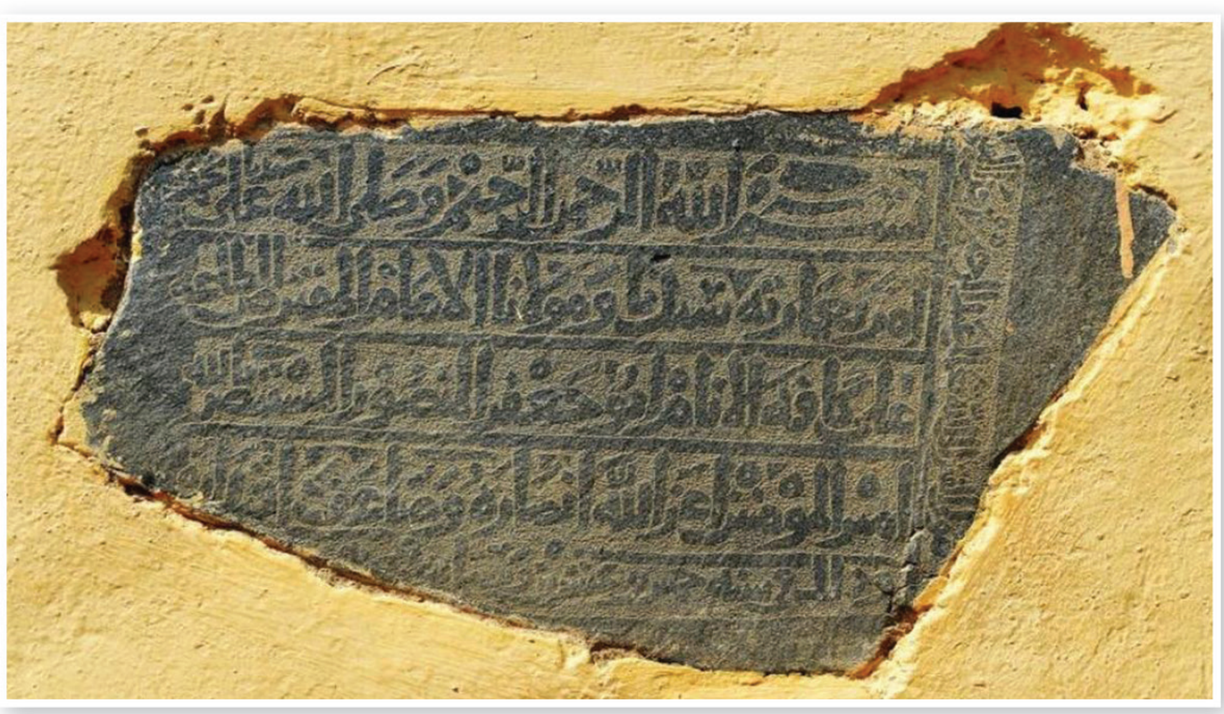
الأهمية التاريخية والدينية للمسجد

يتمتع مسجد البيعة بمكانة خاصة في قلوب المسلمين، وذلك لموقعه المتميز الذي يربط بين مكة المكرمة ومنى، مما يجعله نقطة عبور رئيسية للحجاج والمعتمرين. كما أن قربه من الأماكن المقدسة يضفي عليه طابعا روحانيا فريدا، يعزز من أهميته الدينية والتاريخية. ويرتبط مسجد البيعة ارتباطا وثيقا بحدثين تاريخيين بارزين في الإسلام، وهما بيعتا العقبة؛ الأولى والثانية. ففي عام ٦٢١م، شهد الموقع بيعة العقبة الأولى، حيث التقى النبي ﷺ خلال موسم الحج بعدد من أفراد قبيلة الخزرج من الأنصار، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، وتعهدوا بنصرة النبي ﷺ ونشر الدعوة الإسلامية في مدينتهم. وفي العام التالي، عاد اثنا عشر رجلا من الأنصار، بينهم خمسة ممن حضروا البيعة الأولى، وبايعوا النبي ﷺ عند العقبة مجددا. ثم في موسم الحج الذي تلاه عام ٦٢٢م، شهد الموقع بيعة العقبة الكبرى، حيث بايع سبعون من أعيان الأنصار النبي ﷺ، بحضور عمه العباس بن عبدالمطلب، كما تذكر كتب السير. مثلت هذه البيعة نقطة تحول تاريخية في مسيرة الدعوة الإسلامية، حيث مهدت لهجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، والتي كانت بداية لانطلاق الدولة الإسلامية وانتشارها[٣].

وبهذه الأحداث الجليلة، أصبح مسجد البيعة رمزا لتضحيات الأنصار وإخلاصهم، وشاهدا على العهد الذي غير مسار التاريخ الإسلامي. ولا يزال المسجد حتى اليوم يحمل في طياته ذكرى تلك اللحظات التاريخية، مما يجعله مقصدا للزائرين خلال موسم الحج الذين يتوقون إلى استحضار روح الإيمان والتضحية التي تجسدت في هذا المكان المبارك، والتي بذلها الصحابة رضوان الله عليهم لنصرة الإسلام ونشر رسالته. وبذلك، يسهم المسجد في الحفاظ على التراث الإسلامي من خلال تخليد ذكرى الأحداث التاريخية التي شكلت مسار الدعوة الإسلامية.

تاريخ المسجد وعمارته

يعود تاريخ تشييد المسجد



إلى العصر العباسي، حيث تشير النقوش واللوحات التأسيسية إلى أن بناءه تم بأمر من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور في القرن الثاني الهجري، عام ١٤١هـ. وعلى مر العصور، خضع المسجد لعدة عمليات تجديد وترميم، كان أبرزها ما قام به الخليفة العباسي المستعصم بالله عام ٦٢٩هـ، واستمرت جهود الترميم والتجديد عبر القرون، حيث تمت آخر هذه العمليات في العهد السعودي الحديث، وقامت هيئة التراث السعودية بإجراء أعمال صيانة دورية لضمان استمراريته، مع الحرص على الحفاظ على طابعه الأثري دون إدخال تغييرات جوهرية قد تمس أصالته، مما ساهم في الحفاظ على هذا الإرث التاريخي والديني العريق[٤].

الوصف المعماري للمسجد

يتميز مسجد البيعة بتصميمه البسيط الذي يعكس نمط العمارة الإسلامية المبكرة، حيث يخلو من المآذن أو الزخارف المعقدة، مما يعطي انطباعا بالتواضع والروحانية التي تتوافق مع طبيعة الحدث التاريخي الذي شهدته هذه البقعة المباركة. تم تشييد المسجد باستخدام الأحجار المحلية، مما يعزز تناسقه مع البيئة المحيطة ويبرز أصالته التاريخية. يتألف المسجد من ساحة مكشوفة تحيط بها جدران مرتفعة، يليها فناء أكبر مساحة. ووفقا لوصف التقي الفاسي لعمارته الأصلية، كان طول المسجد يبلغ ٣٨ ذراعا وسدس الذراع، ويضم



رواقين، كل منهما مسقوف بثلاث قباب ترتكز على أربعة عقود. وعلى الرغم من قيمته التاريخية والدينية العظيمة، يعاني المسجد من الإهمال نسبيا، حيث يظل مهجورا معظم أيام السنة ولا يستخدم إلا خلال موسم الحج لأداء الصلاة[٥].

يعود المسجد الحالي إلى تجديدات تمت في الفترة العثمانية، يتخذ المسجد شكل مستطيل تبلغ أبعاده ٢٣ مترا طولا و١٣,٨ مترا عرضا. يتوسطه صحن مكشوف، ويحتوي على رواقين رئيسيين؛ الرواق الأول ويقع موازيا لحائط القبلة في الجهة الجنوبية الغربية، وتبلغ سعته ٤٦ مترا. يتكون هذا الرواق من أربع دعائم مربعة الشكل تقريبا، تبلغ مساحة كل منها ٧٦٨٦سم٢، وتعلوها خمسة عقود مدببة، باستثناء العقد الأخير من الجهة الشرقية الذي يتميز بعقد منكسر. والرواق الثاني يقع في نهاية المسجد موازيا للضلع الشمالي الشرقي. ومع مرور الوقت، سقطت دعائمه وعقوده، ولم يتبق منه سوى مصطبة مرتفعة عن أرضية المسجد بحوالي ٢٥سم، ويبلغ عرضها ٣,٦م.

وفي الوقت الحالي، لم يعد للرواقين سقف، باستثناء ارتفاع جدرانهما من الجهة الشمالية الغربية والجنوبية بمقدار متر ونصف المتر عن جدران الصحن المكشوف. ولا توجد أدلة واضحة على شكل السقوف الأصلية، إلا أن ما ذكره تقي الدين الفاسي في القرن التاسع الهجري (٨٣٢هـ) يشير إلى أن كل رواق كان مغطى بأربع قباب، إلا أنها سقطت جميعا ولم يبق لها أي أثر، ويتوسط جدار القبلة محراب عميق يتكون من ثلاث حنيات، حنيته الوسطى هي الأوسع وتبرز قليلا عن مستوى جدار القبلة من الخارج، بينما توجد على جانبيها حنيتان أصغر حجما.

أما مدخل المسجد الحالي، فيقع في الركن الجنوبي الغربي، حيث يدخل منه الزائر إلى الرواق الموازي لحائط القبلة. يلاحظ أن هذا المدخل كان في الأصل نافذة تم تحويلها إلى مدخل حديثا لتحل محل الباب الأصلي، خصوصا أنه يقابله في الجدار الجنوبي الشرقي نافذة معقودة بعقد مشابه لعقد المدخل الحالي. وهذا التغيير يؤكده ما ذكره الفاسي من أن للمسجد بابين في الجهة الشمالية والجنوبية، إلا أن هذه الفتحات سدت بسبب تصدع الجدران. كما سدت النوافذ التي كانت تفتح على المصطبة الحالية في الضلع الشمالي الشرقي للمسجد[٦].

وأخيرا، فإن مسجد البيعة ليس مجرد معلم تاريخي فحسب؛ بل هو رمز خالد للبيعة والوفاء، يحمل بين جدرانه قصة عظيمة شكلت منعطفا حاسما في مسيرة الدعوة الإسلامية ونشأة المجتمع الإسلامي. ورغم صغر حجمه وبساطة تصميمه، فإن قيمته الروحية والتاريخية تفوق أبعاده المادية، ليكون منارة تذكر بالتضحيات العظيمة التي قدمها الصحابة لنصرة الإسلام. وهكذا يظل مسجد البيعة شاهدا حيا على عظمة الإرث الإسلامي، ومخلدا لدروس التضحية والإيمان التي لا تنسى.

المراجع

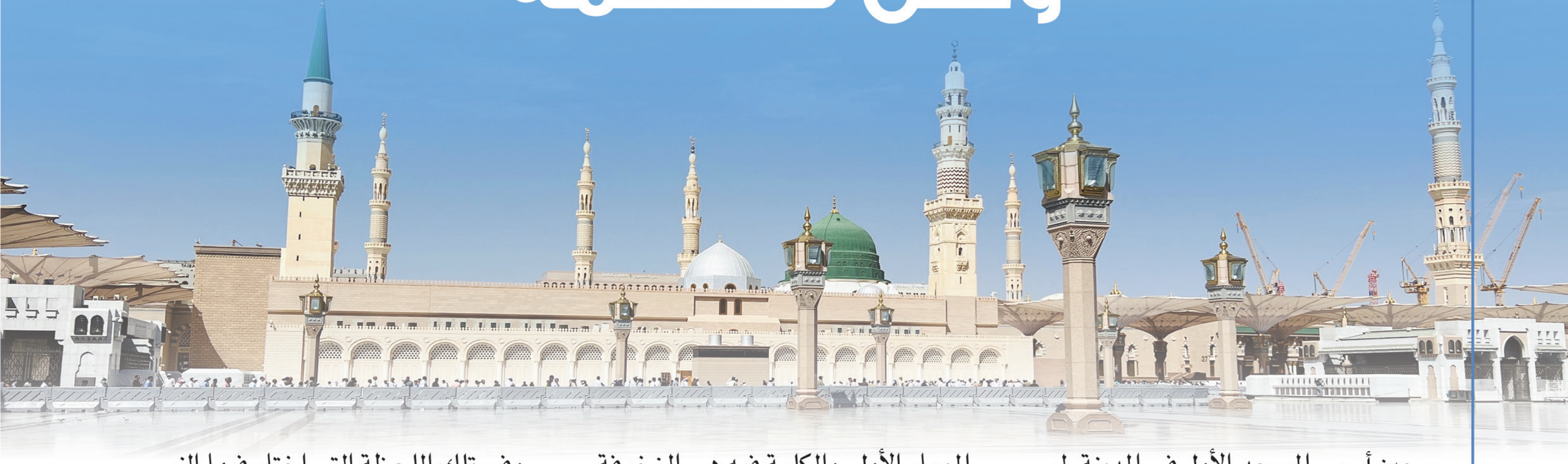
١- كاظم الخويلدي، الأماكن الأثرية في مكة المكرمة، ص:١٠٨.
٢- محمد عبدالله الأزرقي (ت٢٤٤هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج٢، ص:٢١٠.
٣-أيوب صبري باشا (ت:١٢٩٠هـ/١٨٩٠م)، موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، ص:٨٨٩.
٤- ابن الضياء، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، ص:١٨١.
٥- محمد بن أحمد الفاسي (ت:٨٣٢هـ)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، ص:٢٦٧، عاتق بن غيث البلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية، مج١١، ص:٢٦٩.
٦- سعاد ماهر، مساجد في السيرة النبوية، ص:٣٠-٣٥.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
AL-Waei AL-islami
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
عاما ٦٠

ناصر الجعفري
كاتب وباحث

نشأته ودوره وتطوره..

المسجد في الإسلام وطن للحكمة



حين أسس المسجد الأول في المدينة، لم يكن امتدادا لمعبد، ولا تكرارا لوظيفة سابقة، بل كان اختراعا حضاريا خالصا في معناه ووظيفته وتكوينه. لم يبن على أطلال ثقافة، بل فوق تراب لم يمسه طين الرسالات، وأرض طاهرة كانت تنتظر أن يخط فوقها الوحي أول سطور مدنيته.

منذ اللحظة الأولى، لم يكن المسجد مجرد مكان تؤدى فيه الصلوات الخمس، بل كان كيانا حيا، يمارس مهام الدولة قبل أن تكتب دساتيرها، ويحتضن روح الجماعة قبل أن تصاغ قوانينها، ويعلم النطق باسم الجلالة قبل أن ترسم حروف الأبجدية.

لقد كان المسجد آنذاك هو السقف الذي اتسع لاحتضان الأمل والاحتجاج والنجوى، حيث اختلطت رائحة الطين بنداء المؤذن، وانحنت جبهة المهاجر إلى تراب لم يملكه، لكنه ارتضاه موطنا.

لم يكن المسجد هو المئذنة، ولا الزخرفة، ولا المحراب، بل كان الإنسان فيه هو المعمار الأول، والكلمة فيه هي الزخرفة الحقيقية. من داخله تشكلت أخلاقيات الجماعة الإسلامية الأولى، وتحددت معايير القيادة، ومورس أول أشكال الشورى، وسطرت خطابات الحكم، وعقدت الاجتماعات المصيرية، وألقيت الدروس، وتحول السقف البسيط إلى فضاء فسيح تفيض فيه الحكمة، وتتشظى منه أنوار المعرفة والعدل.

في المسجد الأول، صلى الجميع على التراب ذاته، ووقف الفقير إلى جوار الغني، وتقدم حامل الجراح صفوف العلماء، دون وساطة ولا بيروقراطية. في ذلك الفضاء المنفتح على السماء، كان الفقيه يناظر، والمريض يزار، والمسافر يستقبل، والجائع يشبع، والعلم يبث، والخصومة تحل، والعاطفة تجد ملجأها، والعقل يتدرب على التمييز. لم يكن المسجد مكانا للعبادة فقط، بل كان قاعة للدرس، ومأوى للمساكين، ومنبرا للحاكم، ومحرابا للمحتج، ومساحة مفتوحة لمداولة القرار.

وفي تلك اللحظة التي اختار فيها النبي ﷺ أن يكون «بناء المسجد» هو أول عمل بعد الهجرة، كان يعلن، من دون خطبة، أن هذا المكان سيكون نواة الحضارة الجديدة، وأنه لا مجتمع من دون فضاء يجمع الناس على مبادئ مشتركة، وينطلق بهم نحو التغيير المتكامل. لقد أدرك أن أي تحول حقيقي يبدأ من المكان الذي يعاد فيه تشكيل الإنسان.

لقد كان المسجد هو «المؤسسة» الأولى في كل شيء. مؤسسة دينية وسياسية وتعليمية واجتماعية ومالية. ففيه أديرت شؤون الدولة، ومنه خرجت أولى البعثات، وعلى منبره خطبت الخطبة التي أثارت الدولة البيزنطية. ومن حلقاته خرج القادة، لا حفظة النصوص فقط، بل الذين مارسوا القيادة بالتعليم والمشورة والمواقف.

وليس عجيبا أن تلحق بالمسجد فيما بعد الكتاتيب، والمدارس، والمكاتب الوقفية، لأن طبيعته الأولى كانت تتسع لتلك الأدوار. في جامع القيروان مثلا، لم

يكن الدارس يكتفي بحفظ القرآن، بل كان ينهل من الفقه والنحو والمنطق وعلوم الطب والهيئة، وكان بعض العلماء يتدارسون مؤلفات الفلاسفة تحت سقف الجامع ذاته، من دون أن يطردوا أو يخونوا.

وحين أقيم الجامع الأزهر، لم يكن مقصده العبادة فقط، بل كان معهدا عاليا لتعليم كل العلوم، وكان يضاهي، بل يسبق، أعتى الجامعات الأوروبية في القرون الوسطى. وحين أنشئ جامع الزيتونة، لم يكن مجرد تقليد، بل كان استكمالا لروح حضارية ترى المسجد هو قلب المدينة، لا طرفها، وفضاءها العام، لا مؤسستها المنغلقة.

وحتى حين توسعت المدن، وبنيت القصور، وباتت السلطة السياسية تمارس من خارج المسجد، بقي هذا الأخير هو الفضاء الذي ينضج فيه الوعي، وتدار فيه النقاشات الكبرى، لا في الدواوين، بل تحت القباب.

ثم إن المسجد، بصفته المعمارية، لم يكن نسخة مكررة، بل ترجمة روحية للمكان والزمان معا. فالمسجد في الأندلس اتخذ طابعا هندسيا مختلفا عن مسجد سمرقند أو مسجد فاس. لقد تشكلت هوية المكان حول المسجد، لا العكس. وبفضل هذا، ظل المسجد فضاء منفتحا، لا يفرض نسقا واحدا، بل يعكس جماليات متعددة.

بل إن الزخرفة الإسلامية، بتجريدها وامتناعها عن التماثيل، كانت تعبيرا عن قيمة «اللامرئي» في الثقافة الإسلامية، أي الإيمان بما لا يرى، والتأمل فيما وراء الظاهر. حتى إن المئذنة لم تكن دائما مخصصة للنداء، بل كانت في بعض المدن رمزا حضاريا، وقطبا بصريا، ومركز إشعاع ثقافي، يقف عليه المؤذن صباحا ليوقظ المدينة لا فقط للصلاة، بل للوعي.

وفي العمق، لم يكن المسجد في الحضارة الإسلامية مكانا، بل كان زمانا دائم التجدد؛ زمنا يعاد فيه بناء العلاقة بين الإنسان وربه، وبين المرء ومجتمعه، وبين الذات ومعناها. المسجد هو الفضاء الذي يسمح بأن يبدأ المرء نهاره بروح مجردة من الخوف، وبقلب ممتلئ بالسكينة، وعقل مستعد لطرح السؤال، لا ترديد الجواب فقط.

وحين دخل الإسلام الأندلس، حمل المسجد معه هذا النموذج المتكامل: محراب للصلاة، ومنبر للخطابة، ومكتبة للدرس، ومجلس للقضاء، وساحة للقاء. لم يكن المسجد خاضعا للحاكم، بل أحيانا سابقا له، ومصححا له، وموقظا لغفلته.

لقد كان المسجد الإسلامي أكثر انفتاحا من جامعات أوروبية كثيرة في زمانه، ليس لأنه وسع القبول، بل لأنه لم يعرف أصلا فكرة «المنع». فقد كانت المعرفة تعطى لمن يطلبها، لا لمن تختبر أهليته. وكان الإمام الذي يجلس تحت عمود المسجد يسمع من تلميذه نقدا ولا يغضب، ويغير رأيه إن بدا له الصواب في كلام الآخر، لا لأننا «نحن أهل الشورى»، بل لأن المسجد نفسه، في بنيته الأصلية، لا يقبل الواحدية.

وفي الأزمنة الحديثة، المساجد اليوم، في كثير من العواصم الإسلامية، أفرغت من دورها الاجتماعي، أو حجمت إلى محض طقوس يومية. وهذا ما جعل كثيرا من المفكرين المسلمين المعاصرين يدعون إلى «استعادة المسجد»، لا كمكان للصلاة فقط، بل كمجتمع مصغر، وكقاعة تفكير، وكمركز خدمات إنسانية.

في الغرب، عادت بعض المساجد لتحمل تلك الروح الأولى: فتحت أبوابها للمرضى، وقدمت دروسا للناشئة، واستقبلت غير المسلمين في نقاشات فكرية، وأسست مبادرات للبيئة والتعليم والعمل التطوعي. إنها لا تقلد النموذج الغربي، بل تستعيد أصلها الإسلامي العريق.

وفي بعض مدننا، بدأت مبادرات صغيرة تعيد للمسجد روحه المفقودة: مكتبات أهلية، مساحات للحوار، ندوات شبابية، دروس لغوية، قوافل طبية. كل ذلك في محيط المسجد، أو تحت قبابه.

المسجد الحقيقي ليس هو من يشيد على الطراز العثماني أو المغربي أو الهندي، بل هو ذاك الذي يعاد بناؤه في قلب كل فرد، قلب لا يعرف الكراهية، ولا يهاب السؤال.

من هنا فقط يمكن أن يستعيد المسجد دوره الحضاري، لا حين نضاعف عدد القباب، بل حين نعيد للمنبر قدرته على النقد، وللمحراب طمأنينته، ولجدران المسجد ذاك الحنين إلى أول سجدة لمست فيها الجبهة على الأرض، لا خوفا، بل حبا.

المراجع

١- الحضارة الإسلامية عبر العصور، د. راغب السرجاني.
٢- المدينة الإسلامية: جذورها وتطورها العمراني، د. صادق إسماعيل.
٣- دور المسجد في بناء الدولة الإسلامية الأولى، مجلة الوعي الإسلامي (الكويت)، عدد خاص عن المساجد.

علياء ناصف
كاتبة



المناسبات الدينية والتربية الروحية

التربية الروحية أضحت في الوقت الراهن من الأهمية القصوى لأن يتم التخطيط لها بعناية فائقة، ولعل من أبرز ما ينبغي أن يمثل الأولوية في أي نواح تربوية من أجل إعداد النشء الجديد وتغذيته روحانيا وإيمانيا، استثمار المناسبات الدينية جميعها في الحصول على أكبر كم من النتائج الإيجابية الملموسة والمنشودة الناجمة عن بث القيم الإيمانية والروحية في عقل وقلب الأطفال والصغار عموما أثناء هذه المناسبات التي تعد فرصة ذهبية للتربية الروحية.

إن عملية إزكاء الوازع الديني في نفوس الأبناء منذ عهد الطفولة والصبا تعد من الأمور الحيوية التي لا بديل عنها في سبيل القيام بالدور التربوي المنوط بكل القائمين على عملية التربية، سواء داخل الأسر والعائلات أو خارجها في جميع المؤسسات ذات الصلة بالعملية التربوية.

وما يتجلى من أجواء روحانية ودروس ومواعظ في المناسبات الدينية العديدة والمختلفة على مدار العام ييسر على أولياء الأمور وجميع القائمين على أمور التربية والتعليم بذر بذور التقوى والعمل الصالح ورسم معالم الطريق المستقيم، ليسير على دربه النشء الصغير والجيل الجديد.

نماذج عملية في التربية الروحية

تأتي مختلف المناسبات الدينية، مثل شهر رمضان المبارك، عيدي الفطر والأضحى، وغير ذلك من المناسبات الدينية، لتمهد الأرض الخصبة للتربية والتعليم بكل ما في هذه العملية من الإصلاح والتقويم، ولذلك وجب استثمار أجواء وأنوار هذه المناسبات العطرة في جعل معاني الخير والعمل الصالح تشرق في قلوب الصغار.

هاهي والدة كريمة تقوم بطهي أزكى أنواع الطعام وتقوم بمساعدة بناتها الصغيرات في إعداد وجبات في شهر رمضان للصائمين من الفقراء والمساكين؛ ويصطحب الوالد أولاده الذكور ويجوبون الشوارع والطرقات، ويقومون بتوزيع هذه الوجبات على المحتاجين في رسالة تربوية للصغار أن هذا الفعل يريدون به الامتثال للتوجيه القرآني العظيم في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ (الإنسان:٨-٩).

وها هو معلم رشيد يحث الطلاب على الاحتفاء بقدوم العيد من خلال الاستزادة من فعل الخيرات مثل القيام بجمع ما يصلح من الملابس الجيدة الفائضة عن الحاجة؛ من أجل القيام بتوزيعها على الجمعيات والمؤسسات الخيرية المعنية بشؤون الأطفال الفقراء.

ويعد التوجيه النبوي الشريف في رواية تجمع بين العديد من الخصال الإيمانية التي هي بمنزلة تعاليم موجزة لفيض من مكارم الأخلاق والسلوك ركيزة أساسية من دعائم البناء الأخلاقي لشخصية إيمانية روحية، ونفس زكية سوية: روي عن عبدالله بن عمر عن رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولئن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد -يعني: مسجد المدينة- شهرا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام،و إن سوء الخلق يفسد العمل، كما يفسد الخل العسل» (أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط).

الذكر غذاء الروح

تعويد الأبناء منذ الصغر على أن يكون لهم ورد يومي من قراءة القرآن الكريم والذكر بمختلف أشكاله كالتسبيح والتهليل والتحميد والحوقلة والصلاة على النبي الكريم محمد ﷺ يورث لديهم خشية الله في السر والعلن، ويجلي عن الفكر والقلب الوساوس والأوهام.

ولا توجد مناسبة أفضل من المناسبات الدينية لتذكير الأبناء بهذا الأمر زيادة عن سائر الأيام، تذكيرا يؤصل في نفوسهم أهمية الذكر والدعاء لشحذ الطاقة الإيمانية لديهم ليكون ذكر الله لهم منهج حياة.

يقول عز وجل: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة:١٥٢)،

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (الحشر:١٩).

ومما ورد في تفسير ابن كثير للآية الكريمة: لا تنسوا ذكر الله فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم، فإن الجزاء من جنس العمل..

لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم.

ثمرة التربية الروحية

ولا شك في أنه في ظل الانفتاح المعلوماتي من خلال تكنولوجيا وسائل الاتصال التي لها ما لها من الفوائد والإيجابيات، وعليها ما عليها من المخاطر والسلبيات، ما يتطلب تحصين الأبناء بسلاح واق من جميع الفتن والمغريات، وهذه التربية الروحية عامل له بالغ الأثر في تهذيب النفس وترويضها للوصول بها إلى السكينة النفسية التي تجعل القيام بمختلف العبادات وأعمال الخير عملا محببا إلى النفس اعتياديا ليس فيه خروج عن المألوف.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس:٧-١٠)، أي إن تزكية النفس ترتبط بالنجاة والنجاح والفوز برضوان الله، أما الجانب المقابل فيرتبط بالخيبة والخسران على النقيض والتضاد.

إن من يريد تأدية دوره الصحيح في عملية التربية الروحية فعليه أن يعلم جديا وجيدا أن ما يقوم به من بث وغرس المعاني الروحية السامية في عقل وقلب النشء هو صلاح للمجتمع والأمة بأكملها، فالتربية الروحية هي حجر الأساس لكل سلوك أخلاقي إيجابي وبناء في مختلف مجالات الحياة، وتزكية النفس ليست تزكية أفراد فحسب بل تزكية مجتمعات لن تنمو أو تزدهر إلا بالعلم والإيمان والعمل الصالح.

حسن الحضري
عضو اتحاد كتاب مصر

رسائل التربية والأخلاق في رواية «عبده والبحر»



في روايتها للفتيان بعنوان «عبده والبحر»؛ تقدم الكاتبة الأردنية دينا بدر علاء الدين، مجموعة رسائل تربوية وأخلاقية لها أهميتها في تنمية الوعي الديني والأخلاقي والفكري لدى الفتيان في هذه السن التي تشهد بدايات الوعي والتلقي والتمييز بين الخير والشر؛ وتبدأ أحداث هذه الرواية بوفاة والدة «عبده» الصغير ذي الأربعة عشر عاما، ورغبة والده في الزواج، وعزوف النساء عنه لفقره المدقع وعمله المتدني (عامل نظافة)، حتى تضطره الظروف إلى الزواج من «روعة» التي كانت «قليلة الجمال، وتعاني من السمنة، وعرفت بين القاصي والداني بلسانها السليط، أما والدها الخياط فكان على النقيض منها». ومن رسائل الكاتبة في هذا السياق أن الأسرة الواحدة قد يكون فيها المفسد والمصلح، فكل إنسان له عمله وأخلاقه، وبعد زواج والد «عبده» من «روعة»، ترسل الكاتبة رسالة أخرى تفيد بأن الطبع يغلب التطبع؛ فقد حاولت «روعة» أن تخفي سوء أخلاقها عن زوجها، وأن تعامله وولده بلطف، حتى قال زوجها: «كنت أسمع عن روعة كلاما سيئا، ولكني لم أر منها إلا كل لطف ومحبة»، لكنها لم تستطع أن تستمر طويلا، وسرعان ما ظهر مكنون صدرها، حتى تسببت في حزن الفتى الصغير وخروجه من منزل والده متجها نحو صديقه (البحر) الذي يغضب لغضبه ويهدأ لهدوئه، في إطار رسالة جديدة ترسلها الكاتبة إلى الأصدقاء في مثل هذه السن التي كتبت لها هذه الرواية، فالكاتبة تنصحهم على لسان حال البحر، أن يتحدوا فيما بينهم ويتعاونوا على الخير ويواسي بعضهم بعضا.

ومن الرسائل التي ترسلها الكاتبة أيضا: التذكير بأن إرادة الله فوق كل شيء، مهما حصل الإنسان من سبل الحماية، فالبحر يخبر «عبده» أن أحد العلماء المجتهدين النشطاء قد التهمته أسماك القرش داخل البحر، فلما سأله «عبده» عن فعل الأسماك ذلك وهو موجود؛ قال البحر: «إنها إرادة الله»، وفي هذا السياق ترسل الكاتبة رسالة جديدة حول أهمية العلم وتخليده ذكرى صاحبه، لذلك قال البحر وهو يتكلم عن العالم الذي التهمته الأسماك: «وكان عزائي الوحيد أن له طلابا تابعوا مسيرته في البحث والاكتشاف، وأن أبحاثه ما زالت تدرس في المدارس والجامعات، ومؤلفاته التي تتحدث عني تلاقي الترحاب أينما حلت»، وجاءت هذه الرسالة على لسان البحر المليء بالأسرار لتكون حافزا للفتيان ومثيرة لفضولهم وتطلعهم نحو العلم والمعرفة.

ومن الرسائل الأخلاقية في هذه الرواية: أن الكبير ينصح الصغير ويعلمه من خبرته وحكمته؛ فإن البحر ينصح الصبي «عبده» بأن يصبر على أذى امرأة أبيه، ويتحمل غضب أبيه ويستمر في بره من أجل نيل رضاه؛ ومنها أيضا: تقديم الرحمة على الروتين المبتدع داخل المؤسسات، كما فعل المعلم مع «عبده»؛ فإن الحاج إبراهيم لما علم من «عبده»أن امرأة أبيه أفسدت لوحته التي ظل أكثر من يومين يرسمها، وأن اليوم هو موعد جمع اللوحات من المشاركين؛ «ذهب معه إلى المدرسة وشرح للمعلم ما حدث، فمنحه المعلم مزيدا من الوقت»، ولم يتشبث بالروتين الذي هو من صنع البشر وليس له وجه من القداسة، وإضافة إلى ذلك فإن الحاج إبراهيم أشرف بنفسه وتابع الصبي وهو يعيد رسم اللوحة، وذلك من الفطنة والذكاء؛ لأنه لو تركه لحاله لما أمن الصبي أن تفسد امرأة أبيه اللوحة الجديدة، وفي هذه المتابعة والاهتمام من الحاج إبراهيم رسالة جديدة من الكاتبة بضرورة معرفة أسباب الأزمة، والقضاء عليها، وفي هذا الصدد تقدم الكاتبة أيضا رسالة الوفاء؛ حيث حصلت لوحة الصبي على المركز الثاني، فأهدى هذا الفوز إلى الحاج إبراهيم اعترافا بفضله.

ونجد أيضا رسالة جديدة تقدمها الكاتبة من خلال شخصية الخياط والد روعة امرأة والد الصبي؛ فقد ذهب الخياط إلى بيت ابنته في زيارة مفاجئة ليقدم للصبي بدلة جديدة بمناسبة العيد، حتى حقدت روعة على الصبي وسلطت عليه والده، وهنا تنتقل الكاتبة إلى تقديم عدة رسائل متداخلة فيما بينها ولا غنى عن واحدة منها؛ فالكاتبة توجه الآباء والأمهات إلى التحقق مما يقال عن أولادهم، فرب مكيدة تدبر لهم كالمكائد التي دبرتها روعة للصبي الصغير ابن زوجها؛ فقد صدقها الأب وعاقب ابنه بالطرد من المنزل، فساقته الأقدار إلى لقاء مجموعة الأصدقاء الذين تواثقوا على الشر، واقتادته الشرطة معهم ظنا منها أنه واحد منهم، فمن رسائل الكاتبة في هذا الصدد دعوة الوالدين إلى التعامل مع أولادهم بطريقة لا تعرضهم للوقوع في خطر قد لا يستطاع تداركه، ولا يفوت الكاتبة أن توجه رسالتها الخاصة بالأجهزة الأمنية؛ فهي تدعوها إلى مراعاة البيئة الاجتماعية في التعامل مع المنحرفين؛ فقد يكون بينهم من تواجد معهم مصادفة أو نحو ذلك

من المفارقات والأمور الاضطرارية، وكذلك قد يحتاج الأمر إلى تدخل الأجهزة الأمنية ووساطتها بين الأقارب بهدف الصلح بينهم أو نحو ذلك من الدواعي بحسب الموقف، فلا يحصر رجل الأمن دوره في الضبط الجنائي ونحوه من المهام الأمنية دون مراعاة ما يتعلق بالجوانب الإنسانية، فيما لا يؤثر على سير العدالة بمفهومها الصحيح؛ فقد تدخل رئيس المركز الأمني في خلافات الصبي «عبده» ووالده، بل راعى أيضا رئيس المركز عداوة زوجة والد الصبي فلم يمنحها فرصة لمعرفة ما وقع من أحداث للصبي بعد أن تسببت في طرده من منزل أبيه.

ومن الرسائل التربوية والأخلاقية أيضا في هذه الرواية: بر الأب ومساعدته وتخفيف الأعباء عنه، وعدم الخجل من مهنته مهما كانت متدنية في أعين الناس، ومنها أيضا التعاون مع البسطاء، كما حدث مع عامل النظافة وابنه؛ فقد أعطتهما المرأة بعض الحلوى، ودعاهما أحد أصحاب المحلات التجارية إلى شرب الشاي معه، ودعاهما آخر إلى شرب القهوة، وآخر إلى شرب العصير؛ فهم يتعاملون مع البسطاء باعتبارهم إخوة لهم، وتذكر الكاتبة على لسان والد «عبده» رسالة جديدة هي الإخلاص في العمل؛ فذلك هو الذي دعا الناس إلى حب واحترام ذلك العامل، كما وجهت الرواية أيضا رسالة الوفاء، من خلال صديقات والدة «عبده» اللاتي ذهبن إلى «عبده» يوم العيد للاطمئنان عليه؛ وفاء لوالدته، وكذلك وفاء والده الذي رحب بصديقات زوجته المتوفاة وأمر بإعداد الطعام لهن، وفي المقابل أيضا رسالة التحذير من عمل السوء؛ فإن روعة التي أساءت معاملة ابن زوجها وآذته واتهمته بالسرقة وتسببت في طرده من منزل والده؛ قد نالت عقابها؛ حيث لقنها البحر درسا قاسيا، فأمر الأفاعي أن تلتف حولها، ولم يخلصها من الأفاعي إلا الصبي الذي ظلمته وآذته.

ومن رسائل هذه الرواية أيضا: التحذير من شرب السجائر وغيرها من أنواع السموم التي تضر صحة الإنسان وتقتاده إلى السجن كما حدث لأولئك الشباب الصغار الذين طلبوا من «عبده» أن يكون واحدا منهم فرفض، وفي الرواية أيضا تحذير من الكذب والخيانة والتمادي في سوء الخلق؛ فإن روعة لما تمادت في سوء سلوكها ولم تتعظ؛ نالت جزاء هذه الأفعال حين طلقها زوجها ورفض وساطات الصلح، كما نالت جزاءها كذلك حين كذبت على مديرة المدرسة وزعمت لها أنها باشرت عملها في تنظيف المدرسة وحماماتها بإتقان، ثم جاء مفتش الصحة وعاين سوء حال الحمامات، فقامت المديرة بفصل روعة من العمل.

ثم تختم الكاتبة روايتها برسالة التسامح؛ فإن «عبده» حين علم بمعاناة روعة وتنقلها من عمل إلى عمل؛ طلب منها أن تذهب معه إلى بيت والده، ثم قال عنها: «الآن تختلف عما كانت عليه، أصبحت زوجة مخلصة لك، وخالة عطوفا علي»، وطلب منه أن يسامحها ويتزوجها من جديد، فأصبحت كما وصفها «عبده»؛ ترعاهما وتعمل على مصالح الأسرة، وساعدت «عبده» في البحث عن عروس، فتزوج وأنجب ولدا سماه بحرا؛ وفاء لصديقه البحر.



عمرو طه
قاص

أتقدم إليك أن لا تدع الكتابة ليلة واحدة، طالبا الإبانة عن نفسك على صورة من الصور، فإن هذا خليق أن يشحذ ما كل من بيانك، وأن يصقل ما أخذه الصدأ من نفسك، وأن يحيي ما همد من نار همتك، فافعل غير متطلب عن غايتك عذرا.

أبو فهر محمود شاكر

أنصتوا إلى القلوب وليس إلى زخارف الأقوال.

مصطفى محمود

منذ زمن ليس ببعيد كانت الأفعال السيئة هي التي تتطلب تبريرا، أما اليوم فالأفعال الجيدة هي التي تتطلب ذلك.

ألبير كامو

أن تحسن لمن أحسن إليك الكل يستطيع ذلك، لكن أن تحسن لمن أساء إليك ذلك لا يستطيع فعله إلا العظماء.

نجيب محفوظ

البطيء في إعطاء الوعود، أكثر مصداقية في الحفاظ عليها.

جان جاك روسو

يموت ببطء من لا يسافر؛ من لا يقرأ، من لا يعرف كيف يستخدم عينيه.

بابلو نيرودا

سؤون عامة
مجلة كويتية شهرية جامعة
الوعي الإسلامي
AL-Wael Al-Islami

أحمد حمدينو محمد
شاعر وناقد

التمثلات الدينية
في شعر محمود غنيم

بين لون الانتماء إلى واقع تجديدي يقدم فيه التراث الشعري بحيث يقيم علاقة مع القارئ المعاصر وبين تمثله للتراث الديني تمثلا معاصرا يقول محمود غنيم [1] في مطلع قصيدة:

إنـــي تـــذكـــرت والـــذكـــرى مـــؤرِقـــة
مـــجـــدا تـــلـــيـــدا بـــأيـــدِيـــنـــا أضـــعـــنـــاه
ويـــح الـــعـــروبـــة كـــان الـــكـــون مـــسـرحـــها
فـــأصـــبـــحـــت تـــتـــوارى فـــي زوايـــاه

ثم يقول في مقطع منها:

بـــالله ســـل خـــلـــف بـــحـــر الـــروم عـــن عـــرب
بـــالأمـــس كـــانـــوا هـــنـــا والـــيـــوم قـــد تـــاهـــوا
فـــإن تـــراءت لـــك الـــحـــمـــراء عـــن كـــثـــب
فـــسـائـــل الـــصـــرح أيـــن الـــعـــز والجـــاه
وانـــزل دمـــشـــق وســـائـــل صـــخـــر مـــســـجـــدهـــا
عـــمـــن بـــنـــاه لـــعـــل الـــصـــخـــر يـــنـــعـــاه
وطـــف بـــبـــغـــداد وابـــحـــث فـــي مـــقـــابـــرهـــا
عـــل امـــرأ مـــن بـــنـــي الـــعـــبـــاس تـــلـــقـــاه
هـــذى مـــعـــالـــم خـــرس كـــل واحـــدة
مـــنـــهـــن قـــامـــت خـــطـــيـــبـــا فـــاغـــرا فـــاه
الله يـــعـــلـــم مـــا قـــلـــبـــت ســـيـــرتـــهـــم
يـــومـــا واخـــطـــأ دمـــع الـــعـــيـــن مـــجـــراه
أيـــن الـــرشـــيـــد وقـــد طـــاف الـــغـــمـــام بـــه
فـــحـــيـــن جـــاوز بـــغـــدادا تحـــداه
مـــاض تـــعـــيـــش عـــلـــى أنـــقـــاضـــه أمـــم
وتـــســـتـــمـــد الـــقـــوى مـــن وحـــي ذكـــراه
مـــا بـــال شـــمـــل شـــعـــوبِ الـــضـــاد مـــنـــصـــدعـــا
ريـــــاه أدرك شـــعـــوب الـــضـــاد ريـــــاه

هنا ومن بحر البسيط[2] الملائم لأجواء الحزن والأسى والألم (مستفعلن فاعلن مستفعلن) والمناسب لجلال الموضوع، يعرج بك محمود غنيم على الأندلس فيطري حضارتها الزاهية ومجدها التليد والحركة الفكرية التي نهل منها الغرب ورفد خط تطوره وتقدمه، لكنه يأسى على اندثار أهم معالمها وآثارها، كقصر الحمراء مثلا، تراه يبكيه ويبكي مجده الضائع، وينعطف صوب دمشق فينعى بمزيد من الأسى أهم معالمها الحضارية وهو المسجد الأموى، والشيء نفسه يصنعه مع بغداد؛ حيث الحضارة العباسية وحيث تجد هارون الرشيد ومملكته الفسيحة الأرجاء المترامية الأطراف، والتي بسببها أثر عنه أنه حينما رأى سحابة حاورها قائلا «أمطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك» يأسى لذهاب هذا الملك وتحوله إلى أيدي الإنجليز (أبناء نهر التيمز) والذين وصفت مملكتهم من جراء بسط نفوذهم واحتلالهم رقعات كبيرة بأنها المملكة التي لا تغرب عنها الشمس، هذا التحول وهذا الإرث المضاع وهذه الحضارات الزاهية والغاربة، وهذه الأمجاد القصية التي يعيش العرب على ذكراها ويستمدون القوى من مآثرها؛ راح الشاعر يبكي ذلك كله من خلال لمحات دالة تدين الواقع وتحرمه، وبالتالي تحفزه على إكمال المسيرة.

محمود غنيم بدأ هذه القصيدة بداية ذهنية حيث تحركت القصيدة من الداخل إلى الخارج، فهذا النجم الذي يرعاه الشاعر هنا ربما هو نجم الأمة العربية الذي لا يريد له الأفول لكنه عدَّد مظاهر أفوله فيما بعد في قصيدته.

لكن هذا النوع من الشعر وأعني به شعر الموضوع يفتقر إلى الحساسية الأعلى، فهو وإن كان ذاتيا فإنه يفتقر إلى الحياة، غير أنه حقق الوحدة العضوية على عكس ما كان متبعا في شعر الموضوع لدى الشعراء القدامى، وقد لمحنا أول تشعب تولد عن الحدث الأساسي ماثلا في الهم الجمعي الذي كشف الشاعر عنه عدة مرات، وتم له ذلك عن طريق الارتداد إلى الماضي والنحت من الذاكرة أو الرصيد الروحي المختزن في طاقته الذهنية؛ حيث أطلعنا على المجد العربي الإسلامي المؤثل الذي حققه الأجداد، ثم جاء الأحفاد فلم



ينهضوا بعبء المحافظة عليه، أو تعهده ومحاولة استثماره وتفعيله؛ فكانت المأساة الممثلة في تفريغ العروبة من محتواها، ونتوء المتناقضات، وطفو المفارقات على السطح، الأمر الذي ينبئ بتغير الأحوال واختلال المعايير وفقدان المعايير، حتى عمت المأساة وأصبحت الأقطار جميعها متشابهة في المحن والآلام.

هذا التشعب تفرع عنه تشعب آخر سلط فيه الشاعر الأضواء على (يثرب) خاصة، ومن خلالها رأينا كيف تفاقمت الأوضاع واهترأت القيم حتى بات حاكما من كان بالأمس محكوما، وحتى وصلت الأوضاع حد التسول والاستجداء في بلد وهبه الله أنفس ما في الوجود (الدين الإسلامي ولغة الضاد).

وتسلم (يثرب) -تلك المدينة العامرة بالإيمان ولغة القرآن- الشاعر إلى الماضي مرة أخرى، وبالتالي فنحن أمام انشطار ثالث كان من أهم مميزاته بروز روح التحدي والفخر وعلو نبرة الزهو بتلك الحضارة التي كانت حلقة اتصال بين الحضارتين (الإغريقية القديمة والأوروبية الحديثة)؛ لينتهي هذا التشعب بإعلان الإدانة والتجريم صراحة لأبناء عصر الشاعر واتهامهم بأنهم شعب من الأحداث أحياء.

وحتى يقنعهم بحقيقة ما وصف راح ينقل إليهم بعضا من الصفحات العامرة التي طواها سجل الحضارة الإسلامية التليدة، والتي كانت من أهم دعائم تشييدها، وكان من المبادئ والمآثر التي احتوتها هذي الصفحات تأسيس الحكم على الزهد والتقشف، وساق للتدليل على ذلك عمر بن الخطاب وحب الجهاد والاستشهاد، والمساواة والعدالة والشورى.. إلخ ما مكن للحضارة الإسلامية في الأرض، وبسط نفوذها على الأرجاء الرحيبة، ودان له ملك كسرى وقيصر، وهذا على الانشطار الرابع الذي استقطب انشطارا آخر تركز حول الحديث عن طبيعة تعامل الغرب مع إرثه، وطبيعة تعاملنا نحن مع أمجادنا التليدة، ثم بين النتائج هنا وهناك.

وباقي التفريعات أو الانشطارات القادمة تنوع على هذا الأساس بكاء حضارة الأندلس، فدمشق، فبغداد، فالخلافة الإسلامية، فالفرقة والانفصام العربي، وأخيرا الطموح.

هذه التشعبات أو الانشطارات كانت لها أهمية كبيرة في إنضاج التجربة وهي لا تزال قابعة في مطاوي الشعور؛ لأن الرؤية كانت لدى غنيم -وهو يجول بفكره في ثنايا التجربة الشعورية- أكثر وضوحا، إضافة إلى أنها أتاحت له فرصة الجمع والتأليف والتنسيق بين هذه الأجزاء بما وهبه من صبر وتؤدة وروية، مما يسر في النهاية ولادة تجربة شعرية نابضة ومكتملة.

هذه التشعبات تدفعنا إلى طرح تساؤل يتعلق بمدى تحقيق الوحدة الفنية بشقيها الموضوعية والعضوية في هذه القصيدة، هل تحققت أم لا؟

شيء بدهي أن تتحقق الوحدة الموضوعية في هذه القصيدة، فهى تتناول موضوعا موحدا هو (محنة العالم الإسلامي)، أما العضوية بمعناها الحرفي الدقيق الذي نادت به جماعة الديوان (العقاد، شكري، المازني)، فغير متوافرة، بل من الصعب توافرها عند غنيم أو غيره، وهي إن وجدت جدلا في قصيدة فلم ولن توجد في ديوان، فضلا عن الشعر بأسره، بل من السهل علينا هدمها في تلك القصيدة المفترض تحقيقها فيها، وحسبنا أنها لم توجد في شعر المنظرين لها.

وأما عن الصورة الواردة في القصيدة فجميع الصور هي من النوع الجزئي، مشاهد مقتطعة من الذاكرة تنهض بتشكيل لوحة واحدة مصطبغة باللون الأسود أو لوحة حمراء عليها ظلال رمادية، معتمدة على الحواس أو تجسيد وتشخيص المرئيات أو المعنويات نلمسه في الصخر الذي استحال ناعيا يشاطر دمشق أساها.

أما الوحدة العضوية بمعنى الشعورية أو العاطفية التي تبدو وكأن هناك تيارا شعوريا يغلف القصيدة من أولها وحتى نهايتها فمتوافرة في هذه القصيدة، بمعنى أن الحديث عن الأرق والبكاء في البداية جره إلى ذكر الباعث أو المثير، ولهذا المثير كان منوعا وشاملا، ويرتبط كله بخيط سري ومعلن وتشكل الأمجاد التليدة والحضارة الإسلامية الزاهية، ثم عبث الأجيال المعاصرة بهما محور ارتكازها.

المراجع

١- محمود غنيم (١٩٠٢- ١٩٧٢) شاعر مصري ولد بمحافظة المنوفية، عين مفتشا للغة العربية في مدارس معلمي مصر سنة ١٩٣٥ أشهر دواوينه: صرخة في واد ١٩٤٧، في ظلال الثورة ١٩٦١، الأغنية الأخيرة وهو ديوان مخطوط.

٢- يعتبر النقاد بحري البسيط والطويل صنوان في الجزالة والأبهة فتصاغ عليهما القصائد الطوال ذات المواضيع التاريخية مثلا.

د. حمدي طنطاوي محمد
باحث في العلوم الشرعية



واو الثمانية

اختلف العلماء في واو الثمانية وكثر الخوض فيها إثباتا ونفيا وتوجيها ونقضا، فذهب قوم إلى إثبات هذه الواو كابن خالويه والحريري والثعلبي وابن عاشور، قالوا إنه استعمال ثابت مطرد ولغة فصيحة لبعض العرب، فقد كان من خصائص كلامهم إلحاق الواو في الثامن من العدد، ومن شأنهم أن يقولوا إذا عدوا: «واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية، تسعة عشرة»، ومتى ما جاء في كلامهم عدد ثامن أو أمر ثامن أدخلوا الواو[1]؛ إشعارا منهم بأن السبعة عدد تام وما بعدها عدد مستأنف، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (التوبة:١١٢) وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ (التحريم:٥)، وقوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ (الكهف:٢٢)، وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ (الزمر:٧٣).

وذهب قوم، منهم الفارسي وابن هشام وابن القيم وخالد الأزهري، إلى أن القول بواو الثمانية قول لا أصل له ولا دليل عليه، ووصفوا كل من قال بهذا القول بالضعف والتبجح[2] وقالوا: هذا القول لا تعرفه العرب، ولا أئمة العربية ولا يرضاه نحوي وإنما هو من استنباط بعض المتأخرين. وإن من نسبت إليهم هذه المقالة يستحقون أن تسلب عنهم نسبتهم إلى النحو؛ لأنه أمر لا يتعلق به حكم إعرابي، ولا سر معنوي[3].

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ (الحشر:٢٣). فإن المتكبر في محل التعداد نعت ثامن، مع أنه لم يذكر بالواو[4].

وقوله: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٖ ١٠﴾

هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ (القلم:١٠-١٣)، فإن «زَنِيمٍ» في محل التعداد نعت ثامن بغير واو.

فأما قوله تعالى:

﴿ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ (التوبة:١١٢) فالعطف في هذا الوصف الثامن من جهة أن الأمر والنهي متقابلان، فلما كان الأمر والنهي كذلك، صفتان متقابلتان كان لا بد من الواو التي تربط بينهما بخلاف بقية الصفات التي أريد تعدادها من غير نظر إلى جمع أو انفراد أو تغاير أو تنوع، فهنا لا بد من العطف[٥].

وأما قوله: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ (التحريم:٥)، فقيل إنها تفيد التقسيم وقيل إنها تفيد المغايرة؛ فهذه الواو المنافي بين طرفيها؛ إذ البكارة والثيابة لا يجتمعان في موصوف واحد[٦]، بخلاف الصفات المتقدمة فإنها ممكنة الاجتماع، فأتى بالواو لتغاير النوعين وتضادهما، لئلا يظن أنهما بجريان مجرى الوصف الواحد، فهما مع العطف أبين وأوضح[٧].

ومن النحاة من قال إن «أبكارا» صفة تاسعة لا ثامنة إذ أولى الصفات «خيرا منكن» لا «أبكارا»[٨] وهذا هو الأقرب للدليل. وأما قوله تعالى: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فقيل: هي واو الحال وهذا بعيد؛ لأنه على ذلك يكون التقدير: هؤلاء سبعة وثامنهم كلبهم فيكون العامل في الحال اسم معنى وهو اسم الإشارة وهذا ممتنع[٩].

وقيل: هي واو العطف، من باب عطف جملة على جملة والعطف هنا من كلام الله تعالى والواو قائمة مقام التصديق والتقدير: نعم هم سبعة وثامنهم كلبهم. مقابلة بـ«رجما بالغيب» التي تفيد تكذيب تلك المقالة كقولك إذا قيل لك زيد كاتب؟ تقول: وشاعر. أي: نعم وشاعر. فالعطف أفاد التوكيد والتصديق ولذلك لم يقل سبحانه بعده: ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ كما قال في الأولين[١٠].

ويرى الزمخشري أن الواو هنا هي الداخلة على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل على

الجملة الواقعة حالا عن المعرفة، في نحو قولك: جاءني رجل ومعه آخر. ومررت بزيد وفي يده سيف. قال: وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر[11] غير أن هذا الرأي للزمخشري غير مرضي عنه عند جماعة النحاة؛ لاتحاد الصفة والموصوف ذاتا وحكما، وتأكيدا للصوق يقتضي الاثنين، ثم إن الواو لا تفيد التأكيد وشدة اللصوق وغاية ما في الباب أنها تفيد الجمع[12].

وأما قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ فهب أن لواو الثمانية حقيقة فأين ذكر العدد في الآية؟ وليس في الآية ذكر للعدد وإنما دخلت الواو على جملة فيها معنى العدد، ولو كان لواو الثمانية حقيقة لم تكن الآية منها[13].

والأقرب أن تكون واو الحال والتقدير: وقد فتحت أبوابها؛ لبيان أنها كانت فتحت قبل مجيئهم وحذفت في الأولى لبيان أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم؛ إكراما لهم عن أن يقفوا حتى تفتح لهم، بدليل قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠﴾ (ص:٥٠)، وقيل: الواو هنا زائدة دخولها كخروجها غير أنها تفيد التوكيد[14]. وليست الواو هنا للثمانية كما قالوا ولا هي زائدة دخولها وعدمه سواء كما زعموا، والتحقيق أنها للحال.

والذي أرى أن ترجيح الرأي الثاني هو الأولى بالقبول لأن القول بواو الثمانية لم يقل به أحد من أئمة اللغة ولا النحاة الأوائل ولم يطرد، زيادة على أن القائلين بهذا الرأي، لم يأتوا بشاهد واحد من الآيات المستدل بها إلا وكان له وجه من الإعراب أرجح منه، ولا يعد الأمر إلا أن يكون نكتة لطيفة وجهدا مرجوا واجتهادا مشكورا، يحمد قائليه ويرجى لهم الأجر الثواب والقبول.

الهوامش

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ٤٣/١١-٤٤، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤م؛ الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، الأستاذ محمد نديم فاضل، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م، دار الفكر - دمشق.

(٣) انظر: شرح «قواعد الإعراب لابن هشام» للقوجوي، تحقيق: إسماعيل إسماعيل مروة، ص:١٥٥، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية).

(٤) شرح قواعد الإعراب لابن هشام، ص:١٥٥.

(٥) انظر: الفصول المفيدة في الواو المزيدة لصلاح الدين العلائي، تحقيق: حسن موسى الشاعر، ص:١٤٣، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، دار البشير - عمان.

(٦) انظر: شرح «قواعد الإعراب لابن هشام»، ص:١٥٥.

(٧) الفصول المفيدة في الواو المزيدة، ص:١٤٣.

(٨) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص:٤٧٧، وموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب لخالد الأزهري، تحقيق: عبدالكريم مجاهد، ص:١٤٧، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٦م، الرسالة - بيروت.

(٩) انظر: «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب»، ٤٧٥/٦٧٧.

(١٠) انظر: الفصول المفيدة في الواو المزيدة، ص:١٤٤.

(١١) انظر: «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري»، ٧١٣/٢، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار الريان للتراث بالقاهرة، دار الكتاب العربي - ببيروت، الفصول المفيدة في الواو المزيدة، ص:١٤٤.

(١٢) انظر: «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» للطيبي، ٤٣٩/٩، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

(١٣) انظر: «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب»، ٢٧٥/٤٧٦-٦٧٧.

(١٤) انظر: «شرح قواعد الإعراب لابن هشام» للقوجوي، تحقيق: إسماعيل إسماعيل مروة، ص:١٥٤، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية).

د. جميلة خليف
كاتبة وباحثة

(مقالات في الوعي وصناعة الحياة من منظور قرآني)

هندسة الأفكار



تمر هذه الأمة بتحديات كبيرة، وأعظم التحديات ما كان في الدين والإيمان؛ فرأس مال المسلم إيمانه، ومتى أصيب فيه فقد أصيب في مقتل ولو كان بين الأحياء يسير.. ولأنها أمة محمد ﷺ، وقد كرمها الله عز وجل بالقرآن منهجا ودليلا جاءت الآيات لتخاطب ضمير كل فرد ينتمي إلى نسيج هذه الأمة لتوقظ فيه مسؤوليته عن نفسه، الموصولة بمسؤوليته عن ثغره في جدار الأمة عمرانا ودعوة..

الاعتصام بالله طوق نجاة

وفي هذا تقدم سورة «آل عمران» توجيهات وتعقيبات، ودروسا وعظات لتستنهض همة المؤمنين وتوقظ مشاعرهم..

قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران:١٠١).

أرع هذه الكلمات قلبك، واقرأ كما لم تقرأ من قبل: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾.. استفهام للاستنكار، فكيف ينتقل من إيمان إلى كفر، بل كيف يقبل أن يكون الكفر خيارا؟!

تعقبه أسباب واضحة للاستنكار والتعجب، وهما سببان:

١- «تتلى عليكم آيات الله».

٢- «وفيكم رسول الله».

كيف تكفرون وقد أوتيتم نقطتي ارتكاز للإيمان تحجبان الكفر ما أخذتا بحقهما؟

القرآن.. ومحمد العدنان..

وهما ما أشار إليه الصادق ﷺ حين قال: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا؛ كتاب الله وسنتي» (أخرجه الحاكم والبيهقي).

هما سببان للإنكار على كل من كفر!

القرآن بين يديك..

ورسول الله مبعوث إليك..

فكيف تكفر؟!

لنتعلم من نظم القرآن كيف يكون الاستنكار، وكيف يكون البيان، فإياك أن تستنكر دون بيان سبب واضح، ثم إياك أن تستنكر ولا تتبع استنكارك بنصيحة واضحة.

فتابع الآية لتعلم: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.. هذه كلمات مفتاحية، ترجعك إلى دعاء الفاتحة الأول ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة:٦)..

هنا تجد شيئا من الإجابة والاستجابة..

إذا أردت الهداية إلى الصراط المستقيم العاصمة من الكفر فما عليك إلا أن تعتصم بالله..

والاعتصام تمسك بقوة وإصرار تعقبهما حماية وعناية..

اعتصم.. كي تعصم..

هذا هو طوق النجاة، وهنا يرتجى الأمان، لكن لم يكن الأمر يوما سهلا كما هي سهولة الحديث عنه!

الاعتصام، التمسك والثبات كلها تحتاج إلى قوة.. وأنت بشر ضعيف حقا، فهل من دليل؟

لقد أعطاك المفتاح..

لكنه أيضا نبهك إلى دليل التشغيل: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

إن الاعتصام يحتاج إلى قلب تقي، قلب ربت فيه التقوى حتى أينعت، وثمارها في ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾

فحق الشيء أثره ودلالته..

تحوله من عالم النظرية إلى عالم التطبيق..

وهذه التقوى وحقها لابد أن تصحبك حتى نقطة الانتقال الأهم..

تعيش حياتك في أفيائها، وتثبت عليها إلى أن تلقى الله وأنت في رحابها.. ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:١٠٢).

وكأن هذه الفاصلة في الآيات تناديك..

أن أصحب التقوى على طول الطريق..

فهي لسيرك خير زاد ورفيق..

وبقدر حرصك عليها يختم لك بها..

فتكون ممن اختار الإسلام حياة، فكان بحسن الختام حقيق..

ولأن استصحاب التقوى شاق، كان لا بد للسائرين من معين، فتابع قراءتك لهذا القرآن العظيم وتأمل: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ (آل عمران:١٠٣).

اعتصام جديد..

لكنه في السابق كان فرديا خاصا..

وهنا اعتصام الجماعة، والاعتصام مع الجماعة..

اعتصموا جميعا؛ لأنك وحدك ضعيف، وأنت بمجموع الرفاق قوي..

اعتصموا جميعا، لأن الجماعة تسد خللك وتقوم اعوجاجك وتجبر زللك..

اعتصموا جميعا، لأن الطريق إلى ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ محفوف بالشهوات، ولا يقويك مثل رفيق تقي..

ثم.. كيف لا نتفرق؟!

كيف نبقى «جميعا» على درب الحق نسير وعلى مدارج العلا نتسلق..

تنبه لوصفة الاجتماع المتين..

العقدة الأولى منها:

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (آل عمران:١٠٣).

أن تتذكر أن اجتماعك بهم لم يكن لمصلحة أو مشابهة!

وأن قواعد الأرض تقول بأنكم «أعداء»،

لكنكم حين جمعكم حبل الله أصبحتم ﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾.

فالألفة بينكم ليست خيارا.. الألفة بينكم نعمة من رب السماء..

إنها ألفة تكاد تخلط الدم بالدم..

فيكون لرفيق الطريق منك منزلة الأخ من أخيه، يقترب منه ويحميه، يدفع عنه ويعطيه..

أما العقدة الثانية: فاستثمروا تجمعكم بأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، فليس اجتماعكم للمؤانسة وجميل المجالسة.. اجتماعكم للعمل، وكلما ازدادت مساحة الانشغال كانت مساحة الاختلاف أقل!

الانشغال بأن يكون لكل بصمته وأثره.. في الأرض.. في الميدان.. في تشييد العمران.. وفي بناء الإنسان.

والعقدة الثالثة: احذروا خطأ من كان قبلكم..

احذروا من ترك الآيات البينات وراءكم ظهريا! فإقصاؤها عن تجمعكم يدس بينكم سما خفيا، يذهب قوتكم ويشتت جمعكم ويصيركم بعد أن كنتم ﴿جَمِيعًا﴾ أشتاتا، وتكونون بعد الذكر نسيا منسيا..

تلك وصفة الاعتصام، وهي وصفة البقاء وصينة رفيع المقام، والمؤمن من تلا حق التلاوة، وذاق قلبه ما في هذا القرآن من حلاوة، ثم أصبح نور القرآن نور بصره وبصيرته، هاديا لخطوته وخطرته.

المصادر

- القرآن الكريم.
- تفسير السعدي.
- تفسير القرطبي.

د. عبير فاروق عبدالعزيز
دكتوراه في العلوم السياسية

دور الهوية الإسلامية

في تعزيز الانتماء ومواجهة التيارات الثقافية الغربية

لكل أمة ثوابت تمثل القاعدة الأساسية لحياتها، وأهمها الهوية التي تشكل المحور الذي تدور حوله باقي الثوابت، فلا تعتبر الأمة أمة حقيقية إلا إذا كانت لها هوية مستقلة ومتميزة؛ فالهوية تجمع الأفراد وتحدد سلوكهم وتوجهاتهم، وكلما تعزز شعور الأفراد بهويتهم زاد انتماؤهم وولاؤهم لأمتهم، مما يسهل تعاونهم في الدفاع عنها.

من الضروري أن تدرك الأمة أن فقدان هويتها يعني فقدان استقلالها وتميزها، مما يؤدي إلى انهيار العلاقات الاجتماعية، وتفكك الروابط بين الأفراد. ففي غياب الهوية، تفقد الأمة محتواها الفكري وتراثها الحضاري؛ مما يهدد وجودها.

تتمثل المشكلة في أن العديد من المسلمين لم يدركوا بعد أن أعداءهم -مهما اختلفت مذاهبهم وعقائدهم- يسعون لاستئصال الإسلام وطمس هويته، وذلك لأنهم يرون أن الإسلام يمثل خطرا حقيقيا أمام القوى التي تطمح إلى السيطرة على العالم الإسلامي، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ (البقرة:٢١٧). إن أي جماعة تفرط في هويتها تصبح سهلة الاستقطاب والهيمنة عليها، مما يؤدي إلى تدمير شخصيتها الثقافية والفكرية، حيث يتحول الفرد إلى كائن بلا هوية ذاتية تابع ومقلد للآخرين. فالأمة لا عزة لها بدون هويتها، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (المنافقون:٨).

إن الحفاظ على الهوية الإسلامية والاعتزاز بالدين العظيم يولدان شعورا بالأصالة والتميز. ومع ذلك، نجد بعض المثقفين ينسلخون من هويتهم، ويظهرون نزعة انتقادية تجاه واقعهم الإسلامي، بل يتبنون مشاريع غربية تتعارض مع قيمهم.

إن التربص بالهوية الإسلامية ليس بشيء حديث؛ فهو نشأ منذ ظهور الإسلام، ولذلك اتخذ القرآن الكريم منهجا واضحا في تنبيه المسلمين إلى المؤامرات التي تحاك ضد هويتهم، مؤكدا أن الأعداء يستهدفون ما يميز المسلمين ويشكل مصدر اعتزازهم. وهذا يعتبر امتدادا طبيعيا للصراع بين الحق والباطل، حيث قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (التوبة:٣٢).

وقد حدد القرآن مصادر التهديد للهوية الإسلامية، سواء كانت خارجية أو داخلية. ففي عهد النبوة، كان المنافقون يشكلون تهديدا واضحا؛ حيث كانوا يسعون لطمس الهوية الإسلامية. كما كان كفار قريش يحاربون الهوية الإسلامية، متهمين أعظم مكوناتها بأنها «إفك مفترى» و«أساطير الأولين»، قال تعالى: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ (المطففين:١٢-١٣). أيضا، شكل أهل الكتاب خطرا على الهوية الإسلامية؛ حيث استباحوا حرمة المؤمنين، وزعموا أنه ليس عليهم في الأميين سبيل، قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران:٧٥).

يتجلى اعتزاز المسلم بهويته الإسلامية من خلال التمسك بتعاليم الدين في جميع جوانب الحياة، حيث يعتبر الإسلام النظام الشامل الذي ينظم العلاقات، والأخلاق، والسلوكيات. يعزز هذا الفهم من الهوية الإسلامية التي تشمل العقيدة، والشريعة، وآداب الإسلام، وتاريخه المشترك بين الشعوب الإسلامية، مما يميزهم عن غيرهم من الشعوب، حيث قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة:١٤٣)، وعن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1]. هذا يعكس قيمة التضامن والأخوة بين المسلمين، وهو جزء أساسي من الهوية الإسلامية، ولهذا نقول إن الالتزام بهذه المبادئ يساهم في بناء مجتمع متماسك يحافظ على قيمه، وتاريخه، وحضارته.

كما أن هويتنا الإسلامية تنبثق عن عقيدة صحيحة وأصول ثابتة تجمع تحت لوائها جميع المنتمين إليها، فيحيون لهدف واحد هو إعلاء كلمة الله، وتعبيد العباد لربهم، وتحريرهم من عبودية غيره. وفي القرآن مدح وتعظيم لهذه الهوية، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت:٣٣). ومن أبرز مقومات الهوية الإسلامية الاعتزاز العام بها وبهذا الدين الذي يحمله معتنقوه.

في الختام، يتضح أن الهوية الدينية والثقافية تشكل الأساس الذي يقوم عليه وجود الأمة العربية والإسلامية، فتمسك الأفراد بهويتهم يعزز من انتمائهم وولائهم، ويعكس قدرتهم على مواجهة التحديات التي تطرأ عليهم نتيجة العولمة والضغوط الخارجية.

إن المحافظة على الهوية الإسلامية ليست مجرد واجب، بل هي ضرورة ملحة للحفاظ على الاستقلال والتميز الثقافي. يجب أن ندرك أن الحفاظ على هذه الهوية يتطلب جهودا متكاملة من الجميع -بمن في ذلك العلماء والمثقفون- لتعزيز القيم والمبادئ التي تميزنا، كما يتطلب منا التعاون بين المؤسسات المختلفة، وتعزيز البحث العلمي لفهم واقعنا وتحدياتنا. إن الفهم العميق لجذورنا التاريخية والدينية يمكن أن يشكل قاعدة قوية للنهوض بالأمة وضمان استمرارية التراث الثقافي. ففي عالم يتسم بالتغيرات السريعة، تظل الهوية الإسلامية مصدر قوة وفخر، لذلك يجب دائما المحافظة عليها والدفاع عنها، لضمان مستقبل مشرق للأجيال القادمة.

الهوامش

١- أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (١٩٩٩/٤)، برقم: (٢٥٨٦)، والبخاري، كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، (١٠/٨) برقم: (٦٠١١)، بلفظ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى».

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
عاما

د. أحمد درويش
باحث مغربي

نماذج من اتجاهات الإصلاح الاجتماعي

توجد إشكالية صارت تطرح نفسها في ظل التحولات العميقة التي أصبح يشهدها العالم الإسلامي، والإنجازات الكبيرة التي حققها الغرب على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.. إلى جانب الركود والتقهقر الذي يعرفه المجتمع الإسلامي، مما دفع مجموعة من العلماء المتنورين والمصلحين الاجتماعيين المسلمين للاهتمام بالواقع الإسلامي، ومحاولة مواجهة مشكلاته وطرح مناهج للنهوض الحضاري والثقافي، وحلول للإقلاع الاجتماعي والفكري. وعليه؛ سوف يتم تناول هذا الموضوع في ضوء ما شهدته المجتمعات الإسلامية من عودة الوعي واليقظة من خلال ثلاثة اتجاهات:

- **الاتجاه الأول: العلامة الطاهر بن عاشور نموذج الاتجاه الإصلاحي.**
- **الاتجاه الثاني: المفكر مالك بن نبي نموذج الاتجاه التجديدي.**
- **الاتجاه الثالث: الدكتور خالص جلبي نموذج الاتجاه النقدي.**

الاتجاه الإصلاحي.. العلامة الطاهر بن عاشور نموذجا

لا شك أن إسهامات الطاهر بن عاشور في مقاربته الاجتماعية من عمق المنظومة الدينية تعد من المحاولات الرائدة والإسهامات الفكرية العميقة التي ركزت على مفهوم التجمع الإسلامي، حيث تتعدى الرؤية الإسلامية علاقة الإنسان بربه، إلى تجمع الإنسان مع بني جنسه من مختلف الطوائف والأعراق والقبائل.

وقد قسم ابن عاشور المجتمع الإسلامي إلى مرحلتين:

١- مرحلة مكة: حيث أولى الإسلام الاهتمام ببناء الشخصية المسلمة، لأن صلاح الفرد يؤدي إلى صلاح المجتمع. ولا تكون الشخصية المسلمة فاعلة إلا إذا صلح عقلها وعلمها، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال إصلاح التفكير والتجديد في العقل الإسلامي، من خلال طرد الخرافة والأسطورة عبر الاستدلال والاعتبار والقياس، وهذا ما نصت عليه الأديان السماوية.

٢- الهجرة: أصبح الإسلام تجمعا ودولة، وكان إصلاح المجتمع البشري يتم من خلال صهر جميع القبائل والأعراق والأجناس ضمن مقولة الأخوة، حيث ذكر ابن عاشور أن رابطة التجمع المسلم لا تقوم على روابط الدم أو النسب أو العرق أو اللغة، بل تقوم على رابطة الدين، وبهذا التصور للأمة، فإن الإسلام لا يلغي روافد الحضارات ومشارب الثقافات، وإنما يحتضنها باختلافها ويصهرها في مقولة التعدد ضمن الوحدة الدينية.

أما منهج الإصلاح عند الطاهر بن عاشور فيقوم على ثلاثة أسس:

١- إصلاح الاعتقاد: ويتم من خلال الرجوع إلى الفطرة، والتي تقتضي وجود صانع الكون، والبحث عن الخالق مرتكز في الفطرة، والعناد في هذا الاعتقاد طارئ على الناس من خلال ثلاثة أوجه: (الإشراك - التعطيل - الخطأ في الصفات). وينبغي استدعاء العقول للاستدلال على وجود الله جل وعلا[١].

٢- إصلاح التفكير: وذلك من خلال إصلاح عقل الإنسان، لأن في ذلك إصلاح جميع خصاله، لأنه حسب ابن عاشور عقل تخدمه الأعضاء وليس العكس[٢].

٣- إصلاح الأعمال: ويتم بعد الإيمان بالله عزوجل والتصديق به ومقتضى إصلاح الأعمال الاستقامة واتباع الأمر الرباني «قل آمنت بالله ثم استقم»[٣].

وهذا المنهج الاصلاحي للفرد والمجتمع وفق التصور الإسلامي ينتظم في اتجاهين:

١- اتجاه يضم القوانين الضابطة لتصرفات الناس في معاملاتهم. هدفه تزكية النفس وعماده مكارم الأخلاق، وهو موكول للوازع الديني النفساني[٤].

٢- اتجاه آخر يضم القوانين التي تتم بها رعاية الأمة والذود عنها، وهدفه بناء أمة قوية مؤمنة وعماده المساواة والحرية والحق والعدل، وهو موكول إلى ساسة الأمة بقيادة الناس على صراط الاستقامة بالرغبة والرهبة وفق مقاصد الشريعة الغراء[٥].

لقد شكلت أفكار الطاهر بن عاشور منارة من أجل الانفتاح الفكري والإبداعي وتحقيق النهضة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ودعامة من دعائم الاصلاح والتجديد مع مراعاة مقاصد الإسلام التي يتحقق بها خير العباد والبلاد.

الاتجاه التجديدي.. المفكر مالك بن نبي نموذجا

لقد كان مالك بن نبي نموذجا لهذا التيار الذي انطلق في رؤيته من مبادئ الإسلام وتوجيهاته للفكر والسلوك من خلال دعوته لتغيير النفس وتصفيتها، ولا حرج في استخدام كل الوسائل والمناهج التغييرية التي لا تعارض الدين ولا تعاديه، ومنها الانفتاح على الحضارة الغربية والاستفادة منها، ويحذر مالك ابن نبي من الأفكار المعادية لنا لأن كل فراغ أيديولوجي لا تشغله أفكارنا ينتظر أفكارا منافية معادية لنا، والاستفادة من تجارب الآخرين أمر مطلوب من الشرع بشرط تكييفها مع شروطنا الخاصة، من هنا كان المنحى الذي اتخذه بن نبي في دراسة العالم الإسلامي وتقييم شروط النهضة والتجديد دليلا على أصالة الفكر وتميز المنهج وتوازن النظرة، كما شكل الأمل في نهضة الأمة الإسلامية واستعادتها لدورها الحضاري مركز أولوياته وأساس اهتماماته، لقد تأثر مالك بن نبي بالحركة الاصلاحية التي قادها الشيخ جمال الدين الأفغاني ثم محمد عبده ورشيد رضا من بعده، كما لم ينكر جهود عبدالحميد بن باديس الذي عده ابن نبي الشخصية العظيمة التي قدر لإشعاعها أن يبلغ أعماق الضمير الشعبي.

ولعل مقاربته تمحورت حول مشكلات من خلال وجهين: محاولة منح أقصى ما يمكن من الفعالية ثم استخدام جميع الوسائل المتاحة لمواجهة كل ما يعرقل الوصول

إلى فاعلية الأفكار[٦].

لكن ما يحسب لمالك بن نبي في عملية النهضة والتجديد، بالإضافة إلى نظرته التحليلية العميقة، اهتمامه البالغ بعناصر الحضارة وعواملها وهو ما يسميه بمشكلات الحضارة. ولتشخيص هذه المشكلات وحلها، كان تصور ابن نبي يتجسد في الجمع بين الفكر والعمل، ولن يتأتى ذلك إلا بتطبيق الإسلام بصفته خير ممثل لمعيار الحضارة الذي يجمع بين الفكر والعمل، وباستقراء ابن نبي للتاريخ ورصده للواقع وفهمه للإسلام يطرح نظرته لأسس النهضة ومناهج التجديد انطلاقا من الأسس التالية:

أ- المفهومية

ويقصد به ابن نبي الفهم الصحيح للأمور ليصح انطلاق المرء للعمل، وضبط المحتوى المفاهيمي لكي لا يكون التمسك بحرفية الدين عائقا عن الوصول إلى جوهره. فالمسألة لا تتمثل في تلقين أو إعادة تلقين المسلم عقيدته ولكنها تتمثل في إعادة تلقينه استخدامها وفعاليتها في الحياة، وقد استشهد بموقف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إطلاق سراح السارق في عام القحط الذي عبر من خلاله عن فهمه لروح الدين وليس حرفيته، ولا يمكننا تجاوز معضلة عدم المفهومية أو خطأ المفهومية إلا من خلال عنصرين:

١- تجاوز الأفكار الميتة.

٢- التمسك بالأفكار الغربية -حتى وإن كانت قاتلة- تقليد أعمى وانحراف عن الطريق[٧].

ب- الفعالية

الفعالية هي النتيجة الطبيعية للمفهومية الصحيحة، فإذا فهم المرء مشكلاته ورتبها ترتيبا منطقيا سهل عليه اتخاذ الموقف المناسب لحل تلك المشكلات. وإذا أردنا فعالية منتجة، لابد للمرء من معرفة دينه ومعرفة قدراته وإمكانياته الذاتية، ثم إدراك قدرات وإمكانيات مجتمعه، فالإنسان بمعرفته لدينه يتزود بالطاقة المحركة لذاته أولا ثم للمجتمع والتاريخ، ولا يتأتى ذلك إلا بعدم الاستسلام لكل ما يحدث من خلال الزعم بالخضوع للقضاء والقدر، بل يجب تحديد مسؤولية المرء تجاه الأحداث التي تواجهه من أجل اكتشاف أسرارها والسيطرة عليها بدل أن تسيطر عليه ويوجهها بدل أن توجهه، ولذلك كان التنظيم والتوجيه للطاقة الحيوية يحول الجهود المبذولة إلى جهود فعالة[٨].

ج- التوازن

لا يمكن لحضارة أن تقوم إلا على أساس من التوازن، والتوازن في مفهومه العام لا يخرج عن إطار مفهوم العدل، وهو إعطاء كل ذي حق حقه، وهو لا يشمل العطاء المادي فقط دون المعنوي.

فالحضارة تتركب من تلك النظرة المتوازنة للروح والجسد والكم والكيف والغاية والوسيلة. فإذا اختل الميزان من جانب واحد اختلت الحضارة. والحضارة الإسلامية فقدت تعادلها يوم فاتها أن ترعى سلامة هذه العلاقة بين العلم والضمير، بين العناصر المادية والوجود الروحي، ولا يستثني مالك بن نبي الحضارة الغربية من ذلك السقوط، ويرى أنها حين فقدت معنى الروح فهي تجد نفسها بدورها على حافة الهاوية.

والإسلام هو الدين الأوحد الذي يعد التوازن الدقيق من أهم خصائصه، حيث يقول الله عزوجل: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ (القصص:٧٧). فالحياة الاجتماعية لا نفصل فيها حسب بن نبي الدنيا عن الآخرة، فإذا كانت هناك بعض المجتمعات الحديثة اليوم تبني المجتمع لغايات اجتماعية بحتة ولحياة أرضية بحتة، وإن كان ابن نبي لا يقلل من شأن هذه الغايات فهي تقف في منتصف الطريق، لأن المجتمع الإسلامي يبني لما بعد الحياة.

د- النقد الذاتي

هذا النقد عاقه وشل حركته ما سماه ابن نبي بالشلل الأخلاقي وهو ناتج عن قياس خاطئ عند المسلم، وهو: الإسلام دين كامل ونحن مسلمون، إذن فنحن كاملون. وهذا يعطل قابلية المسلم للكمال، وما نحتاج إليه هو تطهير النفس ولا يكون ذلك إلا بالنقد الذاتي والإحساس بالذنب والإقرار به، والإعلان عن الخطأ، وهذا ما فقد في العالم الاسلامي منذ عهد بعيد بفيضان من التعالي والغرور دون أية محاولة لتعديل السلوك وإصلاح النفس.

إن فكر مالك بن نبي يمثل ثقافة عالمية، وبحكم سعة أفقه وعمق تفكيره وثبات عقيدته استطاع أن يستقرئ الواقع الإسلامي ويكشف عن حالة تشتته، ثم طرح رؤيته مستنيرا بهدي الإسلام وقواعده من خلال توجيهاته لترقية سلوك الفرد ونهضة المجتمع، مع الانفتاح على الحضارة الغربية والاستفادة منها[٩].

الاتجاه النقدي: د. خالص جلبي نموذجا

لقد جعل المفكر خالص جلبي العدل أساسا لحل المشكلات الاجتماعية بشكل عام، إذ يرى بأن الوظيفة الأولى للأنبياء والمصلحين تحقيق العدل ضد أعدائهم من أصحاب المصالح والامتيازات المهددة لقيم الإنصاف ويعتبر المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي
أن دور المثقف هو قول الحقيقة في وجه القوة[١٠] وهو يتناسب مع القرآن ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣﴾ (طه:٤٣).
كما انتقد خالص جبلي التراجع الكبير الذي عرفه عالمنا العربي وقدم أمثلة عن التجاهل المحزن الذي عرفه ابن خلدون حين اكتشفه المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي، فوصف عمله بأنه أعظم عمل من نوعه أنتجه أي عقل في أي زمان أو مكان ولم يتابع أحد من المسلمين عمله للأسف.
وذكر الفيلسوف عبدالرحمن بدوي الذي اختصر زبدة الفكر الإنساني رحيقا خالصا للعقل العربي، ومات في باريس دون أن يكترث لأعماله أحد.
كما شخص الأمراض التي يعاني منها المجتمع الإسلامي في علل أهمها: احتقار العلم ويشهد عليه عقم الإنتاج العلمي وشح التأليفات وضآلة الأفكار، ثم انعدام النقد الذاتي والتبرئة الدائمة للذات وتحميل المسؤولية للآخر، كما قدم تصورا للعلاقة بين السلف والخلف مؤكدا على ضرورة احترام السلف دون تقديسه والاستئناس به دون الاقتصار عليه، والاستفادة منه ضمن خطة نقدية. فالعلم سيرورة تراكمية تقوم على الحذف والاضافة، ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾ (يوسف:٧٦) كما يقول الله تعالى.
كما انتقد بشدة بعض العوائق التي تقف حاجزا أمام التطور والنهضة، كرفض مفهوم الديموقراطية بدعوى أنها غربية لا تناسبنا بالرغم من أننا نستفيد من السيارة رغم أنها غربية، وحصر مفهوم الجهاد بالقتال، حيث تستطيع أي مجموعة ناقمة متطرفة أن تنظم نفسها وتنقض على أي نظام وتدعي أن ذلك جهاد في سبيل الله. وضرب مثالا لجراح يقوم بعملية جراحية كبرى في سوق الخضار دون تهيئة الشروط التعقيمية الضرورية[١١].
لقد قدم خالص جلبي تصورا جديدا للأمراض الاجتماعية المستحكمة في مفاصل المجتمع، وشبهها بالروماتيزم الخبيث. كما حاول تقديم وصفة للتخلص من هذه الأمراض، هي وصفة تحديثية تتجاوز مخلفات الماضي وتصفي الرواسب التي علقت بالأفكار والمعتقدات والتشبث بالوظيفة الأولى للأنبياء: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ (المائدة:٨).
وعمد إلى التركيز على الدراسات الإنسانية والاجتماعية بدل التركيز على العلوم الطبيعية فقط، إذ إن تنمية الفلسفة الاجتماعية والأبحاث الإنسانية تنقذ الأمم وترتقي بالمجتمعات، لذلك كان تشكيل الوعي من خلال تكوين الفعل النقدي، والذي بدوره يحتاج إلى غذائه الصحي من المعارف والدراسات الإنسانية والاجتماعية الرصينة كركيزة لتحقيق النهضة الفكرية والحضارية المتميزة. لقد كان مقالي هذا محاولة متواضعة لتلمس جهود مجموعة متميزة من العلماء والمفكرين الإسلاميين المتنورين، الذين أسهموا بشكل كبير في محاولة الكشف عن مكامن الداء في المجتمع المسلم، واقتراح الحلول الناجعة التي تعمل على تجاوز حالة الجمود التي يعرفها العالم الإسلامي، من أجل تحقيق التنمية الشاملة والوصول إلى مقاصد الاستخلاف النبيلة.

هوامش

١- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع- تونس، ص٤٧.
٢- المرجع نفسه، ص٥٢
٣- السنن الكبرى للإمام النسائي، باب الرقائق، ج١٠-ص٣٨٠، (١٠/٣٨٠).
٤- أصول النظام الاجتماعي، ص٨٠/٨١.
٥- المرجع السابق نفسه، ص٩٠.
٦- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مالك بن نبي، دار الوطن للطبع والنشر والتوزيع، طبعة جديدة ٢٠١٦، ص١٦.
٧- مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، مالك بن نبي، دار الوطن للطبع والنشر والتوزيع، طبعة جديدة ٢٠١٦، ص٤٨.
٨- ميلاد مجتمع، مالك بن نبي، دار الوطن للطبع والنشر والتوزيع، طبعة جديدة ٢٠١٦، ص١١٧.
٩- القضايا الكبرى، مالك بن نبي، دار الوطن للطبع والنشر والتوزيع، طبعة جديدة ٢٠١٦، ص١٠٢.
١٠- جريدة الأخبار المغربية، عدد ١٩٤٢، بتاريخ ١٥ مارس ٢٠١٩.
١١- جريدة الأخبار المغربية، عدد ١٣١٤، بتاريخ ٢٤ فبراير ٢٠١٧.

عبدالرحيم الماسخ
شاعر

تطوير

وجـود الفـتى دون علـم: جهاله
وبـالـعـلـم يـطـلـب عـقـل كمـالـه
ومـا مـن كـمـال عـلـى الأرض إلا
وثـاقـبـة الـنـقـص تـبـغـي قـتـالـه
ويمضي بنا الوقت، من كل صوت
يـطـيـر ليـخـطـف صـمـت مـقـالـه
فيـا لـيـت مـن جـاء قـبـلـي أمـامـي
لـمـن جـاء بـعـدي يـرد انـفـعـالـه
وقـد دارت الأرض درنـا جـميـعـا
فـلـم يـحـبـس الـبـطء منـا الـعـجـالـه
ولـكـنـهـا طـرق فـي زحـام
مـن الـفـكـر فـي قـصـر واسـتـطـالـه
ومـاضـون بـين ظـلام ونـور
عـلـى كـل مـن بـلـغ الـسـعـي هـالـه
فـلا يـقـف الـوقـت بـالـنـاس إلا
وقـد لاحـق المـوت حـيـا فـنـالـه
لـنـعـرف أن حـسـابـا سـيـأتـي
لـمـا عـمـل الـنـاس سـيـر خـلالـه
فـلا ضـاع حـق بـه الـظـلـم سبـق
إلـى زيـف نـصـر سـقـتـه الـضـلالـه
ولـكـن خـيـرا بـخـيـر وشـرا
بـشـر، ودرب الـرجـوع اسـتـحـالـه
ومـن خـلـق الـنـاس بـالـنـاس أدرى
أقـام تـواجـدهـم أو أزالـه!

خالد مال الله
كاتب وباحث

صحة الأبناء..المشكلة والعلاج

كثير من الأسر تعاني من مشكلة رئيسية ومهمة لدى الأبناء ألا وهي السمنة، خصوصا لدى الأبناء الصغار. وهذا الأمر يؤرق الكثير من الآباء الذين يخشون من تعرض أبنائهم للمشاكل والمضايقات سواء على مستوى الحركة أو اختيار المقاسات المناسبة للملابس أو حتى لسخرية الآخرين والزملاء سواء بالمدرسة أو في الحي أو أبناء الأقارب ما يسبب ألما وإزعاجا للجميع. وهذه المشكلة تجعل الوالدين يبذلان جهدهما وأموالهما للحفاظ على صحة أبنائهما ومراعاة مشاعرهم من خلال مراجعة عيادات التغذية أو إشراك أبنائهم في نواد صحية من أجل التخفيف من هذه السمنة، ولكنهما في المقابل من أجل التخفيف عنهم يغدقان عليهم الأموال لشراء الوجبات السريعة والأطعمة غير المفيدة والحلويات مما يجعلهم يسيرون في خطين متناقضين، هذا بالإضافة إلى جلوس الأبناء فترات طويلة أمام التقنيات الحديثة والألعاب الإلكترونية التي تقلل من حركتهم وتساعد في الرغبة بالأكل مما يساهم في زيادة السمنة وبدلا من علاج المشكلة تكون الأسرة قد ساهمت في تأزيمها.

ومشكلة بعض الأسر أنهم يظنون أنهم بتوفير كافة الأطعمة والأشربة والحلويات للأبناء أن هذا هو الحب الحقيقي للأبناء ولا يعلمون أنهم بذلك يتسببون بالضرر لهم في طريق السمنة والترهل.

وهذه نقاط عملية توجيهية للوالدين تسهم في الحفاظ على صحة الأبناء وحمايتهم من الأطعمة الضارة:

١- ليكن تعويد الأبناء منذ الصغر على تناول الأطعمة الصحية النافعة كوجبة أساسية.

٢- تحذير الأبناء من الإفراط في تناول الوجبات السريعة.

٣- تشجيع الأبناء على تناول الخضروات والفواكه على الدوام ما بين الوجبات فلها قيمة غذائية ونافعة للصحة.

٤- تجنب الإفراط بالحلويات والنشويات والدهون وغيرها من الأطعمة غير الصحية.

٥- منع الأبناء من تناول المشروبات الغازية لضررها على الأسنان والعظام وصحة الأبناء.

٦- تجنب تناول الأطعمة والمشروبات التي تحتوي على الأصباغ أو المواد الملونة.

٧- الالتزام بالوجبات الرئيسية الثلاث ومنع الوجبات الجانبية بينها قدر الإمكان بإستثناء تناول الفواكه.

هذا من جانب الأطعمة أما من جانب الحركة والرياضة فمراعاة ما يلي:

١- توجيه الأبناء لممارسة أي شكل من أشكال الرياضة يوميا لتحريك الجسم وعدم الترهل.

٢- تعويد الأبناء على ممارسة رياضة المشي للأماكن القريبة من المنزل دون الاستعانة بالسيارة.

٣- توظيف طاقات الأبناء وفراغهم في الأعمال المنزلية التي تجعل الأبناء في نشاط وحركة مستمرة.

٤- تحديد أوقات معينة للجلوس على اللابتوب والإنترنت والألعاب الإلكترونية دون الإفراط بها.

٥- تقوية روح العزيمة والإصرار والتحدي لدى الأبناء للوصول إلى الوزن المناسب.

٦- وضع حوافز للأبناء لمن ينجح في تطبيق البرنامج ويصل إلى وزن مناسب.

٧- لا نحبط الأبناء إذا فشلوا أكثر من مرة فدورنا مساعدتهم لتجاوز هذه المشكلة والحفاظ على معنوياتهم عالية. فكلما كنا قريبين منهم، مساندين لهم ومحفزين ومشجعين، كانوا أقرب لنا وتقبلوا توجيهاتنا وهم مبتسمون، فلنجتهد في تربيتهم والتواصل معهم ومساندتهم المساندة الأمثل، من أجل صحتهم.

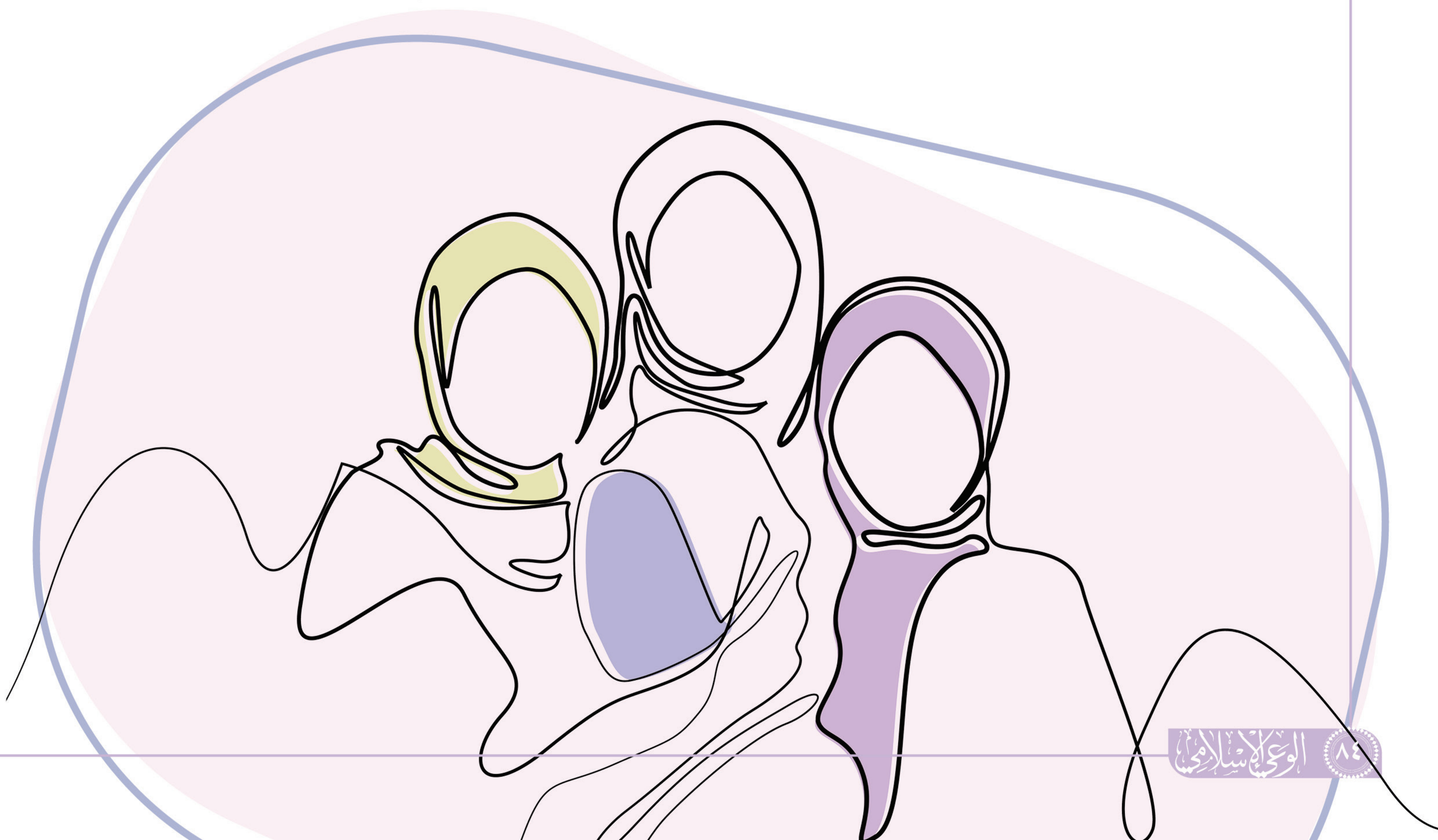
د. عبدالمنعم مجاور
كاتب وأكاديمي

الـزوجة المسلمة

واقـع وتضحيـات

لعله من نافلة القول الحديث عن مكانة المـرأة في الإسـلام؛ إذ لم تحظ امرأة في شريعة من الشرائع بمثل ما حظيت به المرأة في ظل الإسلام من محبة ورعاية واهتمام وعناية؛ سواء أكانت أما، أو زوجة، أختا، أو ابنة، خالة أو عمة؛ أصولا وما علت، وفروعا وما نزلت.. فقد راعى الإسلام هذه العلاقات على صعيد البـر والإحسـان بجميع صوره المادية والمعنوية، فارتقى بها إلى مصاف عالية، وحلق بها إلى آفاق لا جاريه فيها شريعة سماوية سابقة، ولا نظام وضعي قائم أو قانون بشري عصري، يشهد بذلك كل منصف غير حاقد ولا كاره ولا موتور.

وإنـك تجـد فـي القـلـب مـن تلك العـلاقـات السـامـيـة، والمكـانـة السـامقـة الـزوجـة متربعة على عـرش الـزوجـيـة؛ ملكة متوجة، وجـوهـرة مصونة، هكذا أرادهـا اللّه سـبـحـانـه وتـعـالـى شـريـكـة لزوجها، لا أمة مستعبدة، ولا دمية يتسلى بها كما هـي حالها عند بعض الأمم الآن، ولا سقط متاع كما كانت في الجاهلية، وقد رسم اللّه سبحانه حدود هذه العلاقة فقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١)، فكلا الزوجين يسكن



إلى الآخر، فكما أن المرأة بحاجة إلى هذا السكن، وتلك الألفة والمودة فكذلك الزوج يلزمه من تلك العلاقات السوية الصحية ما يلزمها منها؛ فالعلاقة قائمة على المشاركة والتواد من الجانبين، فإن قال قائل: ولكن للزوج من الحقوق ما هو مرعي ومقدم، قلت لك: ومن قال إننا نريد أن نهضم حقه، أو أن نضعه في مجال مفاضلة؟! العلاقة يا سيدي لا تقوم على الندية، والتجزئة، واقتسام الغنائم، وإنما تقوم على التآلف والتكاتف والتكامل، لا التنافر والتحدي، والرغبة في الاستئثار، وإظهار التحكم والسيطرة. إنها شراكة حياة، وتربية نشء، وتعاون لعبور ممر قصير يصل إلى مقر دائم، ومستقر فيه الخلود؛ لذا وجب اختيار الرفيق قبل الطريق.

ومن أراد أن يقتدي فما عليه إلا أن يرجع إلى سيرة النبي ﷺ في هديه مع زوجاته؛ ليرى كيف كان حلمه عليهن، ورأفته بهن، وعدله بينهن، ومزاحه معهن؛ فقد رافقهن ﷺ فما أهان واحدة منهن، ولا ضرب لها وجها، ولا هضم لها حقا، بل إنه جعل الخيرية فيمن يحسن إلى أهله، فقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»، ليضرب المثل والقدوة لمن أراد أن يقتدي فيفلح، ويتأسى فينجح.

وإن تعجب فعجب ما تراه هذه الأيام على مواقع التواصل الاجتماعي وتشاهده، أو تسمعه وتقرأه من كاتب مستظرف يسوق إليك خبر زوجة «نكدية» أو من صاحب محتوى متكسب يجعل من زوجه أضحوكة ينال من خلالها الإعجابات والتعليقات ليحصد بذلك ربحا سحتا؛ اكتسبه بإراقة كرامته، وإهدار قدسية علاقة جعلها الله مستورة ففضحها، ومصونة فأهانها؛ أهذه هي العلاقة التي أرادها الله ورسوله؟ أهذا قدر الزوجة عند زوجها؟! سلعة تباع، وبضاعة تعرض! أيليق برجل -مجازا- أن يرضى لأهله هذا؟! ثم نعود وننحى باللائمة على زوجة لم تحسن أن تربي، ولم تستطع أن تنشئ؟! كيف لك أن تطلب ولدا صالحا ذا كرامة، وقد هدرت على مسمع ومرأى كرامة أمه؟ وأنى لك تراه عزيزا وقد رأى الذل أمام عينيه مجسدا؟! والهوان مصورا؟!

إن ما تقوم به الزوجة في بيتها من خدمة زوجها، وتربية صالحة لأولادها، ومتابعة لشؤون بيتها في عصر السماوات المفتوحة، وهذا العالم الأزرق يضخ على رؤوس أولادها ما لو أغمضت عنه عينها لتفلت أولادها من بين يديها.. إن ما تقوم به تلك الزوجة من متابعة ورعاية، وعناية بعيون مفتوحة ليستحق منا إكبارها، والرفع من شأنها، وعلى الزوج أن يردد من عبارات الثناء على زوجته أمام أولاده ما يرفع من شأنها عندهم، ويكبر من قدرها أمامهم؛ ليشتد جدار الأسرة ويصمد أمام حملات التغريب، واللهاث وراء التقليد.

إن ما ينشر عن الزوجات على تلك المواقع -ولو كان من باب المزاح- ينبغي الحذر منه، والتوقف الفوري عنه؛ كي لا نقابل الإحسان بالإساءة، والتضحية بالسخرية، والجد بالهزل في زمن لا ينبغي لنا -نحن المسلمين- فيه الهزل، وإن هزلت أمم الأرض، فحالنا كما ترون حالك، وتخلفنا باد للعيان ظاهر، وهذا يستوجب أن نقدم للنشء القدوات، وأن نشد أركان البيوت قبل الفوات؛ فالأسرة المسلمة سياج قوي أمام سهام العدا، وأول حام لذلك السياج، مدافع عنه هو الزوجة التي تستحق التكريم لا التحقير، والتبجيل لا السخرية، والاحترام لا الإهانة؛ كي تعود للأسرة مكانتها، وللزوجة منزلتها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ (الرحمن:٦٠).

د. إيمان يوسف المرزوق
أستاذ الفقه وأصوله ومدير شركة السراج التعليمية



«استوصوا بالنساء خيرا»(٢)

المرأة أعظم أسباب القوة في المجتمع الإسلامي، وهي سلاح ذو حدين، قال النبي ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» (رواه مسلم). فالمرأة هي محور نهضة الأمة إن ثبتت على دينها وهويتها الإسلامية واعتزت بتكريم الإسلام لها، وهي أيضا أخطر أسلحة التدمير والفتنة وهدم الأمة من الداخل؛ ولذلك اجتمع الشرق والغرب أعداء الإسلام عليها، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا ﴾ (النساء:٢٧)، وذلك بأن تكون هي أسرع أداة لتحقيق مشاريع طمس الهوية الإسلامية للمرأة المسلمة وتخريب أفكارها وتشكيكها بدينها وتشريعاته التي تحفظها وتعزز دورها في نهضة الأمة الإسلامية؛ ولذلك جاءت تلك الرسائل التوعوية في إظهار تكريم الإسلام للمرأة وستكون هذه الرسالة الثانية في:

١- حفظ حق التعليم للنساء

فالإسلام اعتنى بأهمية التعليم للمرأة والرجل على حد سواء، لقول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمًا﴾ (طه: ١١٤) ، ولقول النبي ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، وقد وردت جملة من النصوص الشرعية التي تؤكد على حرص الشرع الشريف على إتاحة حق التعليم للمرأة، ومن ذلك: ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران» (أخرجه البخاري، باب: تعليم الرجل أمته وأهله).

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١/١٩٠): قوله: (باب تعليم الرجل أمته وأهله) مطابقة الحديث للترجمة في الأمة بالنص، وفي الأهل بالقياس؛ إذ الاعتناء بالأهل الحرائر في تعليم فرائض الله وسنن رسوله آكد من الاعتناء بالإماء لذلك.

طلب العلم مطلوب من النساء كالرجال، فيجدر بهن أن يسعين في طلبه، وعلى أولياء أمورهن أن يبذلوا لهن سبل التعلم وأن يعينهن عليه.

قال الإمام ابن الحاج في «المدخل» (١/٢٠٩): «وينبغي له أن يتفقد أهله بمسائل العلم فيما يحتاجون إليه؛ لأنه جاء من تعليم غيرهم طلبا لثواب إرشادهم فخاصته ومن تحت نظره آكد».

وقد عرفت المسلمات الأوليات فضل العلم وشرفه، وتنافسن فيه وسارعن إليه فأخذن يتفقهن في الدين ويطلبن

العلم، حتى قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين» (مسلم).

فكن يسارعن لمجالس رسول الله ﷺ ويسألن عما يعرض لهن من أمور دينهن، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: «قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهن يوما لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن» (البخاري).

وعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان، قالت: «لقد كان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحدا، سنتين أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ (ق: ١) إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر، إذا خطب الناس» (مسلم).

قال الإمام النووي في «المنهاج شرح صحيح مسلم» (١٦١/٦): «قولها: (وكان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحدا) إشارة إلى حفظها ومعرفتها بأحوال النبي ﷺ وقربها من منزله»(اهـ).

وقد كان للإمام مالك رضي الله عنه ابنة تحفظ كتابه «الموطأ»، فإذا قرأ القارئ فأخطأ أو لحن دقت الباب، فيفطن الإمام مالك للخطأ فيرد عليه؛ كما في «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (١/١).

ويقول العلامة اللكنوي في «الفوائد البهية» (ص:١٥٨) عند ترجمته للإمام علاء الدين السمرقندي: «كانت ابنته فاطمة الفقيهة العلامة زوجة علاء الدين أبي بكر (صاحب «البدائع»)، وكانت تفقهت على أبيها وحفظت تحفته وكان زوجها يخطئ فترده إلى الصواب، وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطها وخط أبيها، فلما تزوجت بصاحب «البدائع» كانت تخرج وعليها خطها وخط أبيها وخط زوجها»(اهـ).

وكانت أم المؤمنين السيدة عائشة، رضي الله عنها، من أفقه الناس وأعلمهم وأحسنهم رأيا؛ قال الإمام ابن حجر العسقلاني في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٢٣٣/٨): «قال أبو الضحى عن مسروق: رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض؛ وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيا في العامة؛ وقال هشام بن عروة، عن أبيه: ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة؛ وقال أبو بردة بن أبي موسى، عن أبيه: ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علما؛ وقال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل. فكل تلك النماذج النسائية الباهرة هو تطبيق عملي لشدة اعتناء الإسلام بتعليم المرأة منذ عهد النبي ﷺ وصحابته والسلف الصالح إلى يومنا هذا، وما ذلك إلا لتحقيق قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ (العلق:١-٥). ويشمل التعليم المأمور به كل تعليم يعين على تحقيق المصالح الضرورية الخمس المتمثلة في: حفظ النفس، والدين، والنسل، والعقل، والمال، وكل تعليم يعين أيضا على تحقيق المصالح الحاجية والتحسينية، ويشمل هذا التعليم الديني الذي يمكن الإنسان من معرفة ما أوجبه الله وندب إليه من أقوال وأفعال، وما نهى عنه من أقوال وأفعال، كعلوم الاعتقاد، وعلوم الفقه وأصوله، وعلوم السنة والتفسير، وغيرها، ويشمل أيضا التعليم الدنيوي الذي يمكنه من معرفة الكون، والحياة، والواقع، وحسن التصرف فيما سخره الله فيه، ومن به على العباد، كعلوم الطب، وعلوم الهندسة، وعلوم الاقتصاد، والعلوم الاجتماعية والإنسانية، والعلوم الطبيعية، وغيرها.

وهذا ما أصدر به قرارا مجمع الفقه الإسلامي الدولي في دورته في ماليزيا بشأن حقوق وواجبات المرأة المسلمة رقم ١٦٩(٧/١٨) فتوى: لا يجوز شرعا حرمان أي من الذكر والأنثى من أي نوع من أنواع التعليم النافع بشقيه لما في ذلك من مخالفة للنصوص الشرعية التي أمرت بتعليمهما، ولاتفاق الأمة عبر العصور على وجوب تعليمهما، ولما يترتب على ذلك من مفاسد كثيرة، منها انتشار الجهل، والفقر، والمرض، وما يتفرع عنها ويوصي المجمع بما يلي:

١- معالجة الفتاوى الشاذة المخالفة للكتاب والسنة التي تمنع المرأة من التعلم، والتعليم.

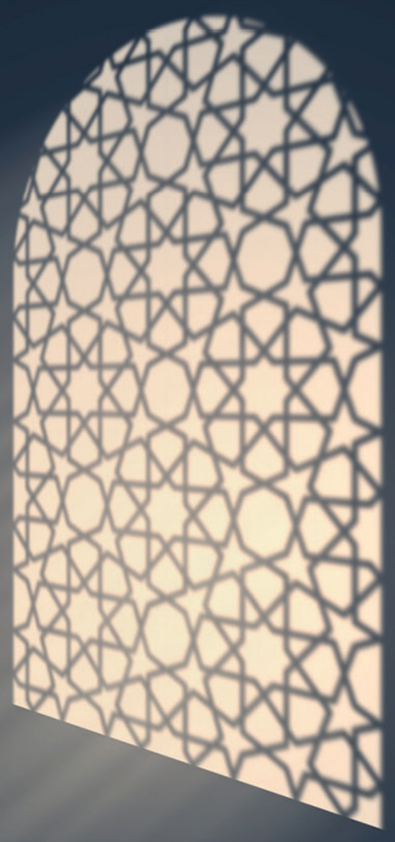
٢- التصدي للآراء التي تتجه إلى حرمان المرأة من التعليم بشقيه بحجج لا تصلح لمعارضة حقها في التعليم، والرد عليها بما يكشف خطأها.

وهذا فيه رد كاف على من يدعي أن الإسلام لا يحث على تعليم المرأة المسلمة وإخراجها من دائرة الجهل إلى دائرة النور والعلم وأن تعليم امرأة واحدة هو تعليم لأسرة كاملة ومجتمع إسلامي لجيل من البنين والبنات الذين يعرفون دينهم وهويتهم وقيمهم الإسلامية.

المراجع

- القرآن الكريم.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني.
- ترتيب المدارك للقاضي عياض.
- المنهاج شرح صحيح مسلم للإمام النووي.
- الفوائد البهية للإمام اللكنوي.
- فتح الباري لابن حجر.
- المدخل لابن الحاج.

الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
عاما ٦٠



رحمة العنزي
كاتب وباحث

النور... الذي أضاء العالم

منذ عقود مضت، في أرض ضلت فيها كلمة الحق، وسادت الشياطين تزين للناس باطل الاعتقادات وتلبس العقل لباس الضلال، في أرض امتلأت بالأصنام التي لا تنطق، من هناك أراد الله أن ينبثق النور.

في واد غير ذي زرع، ومن أمة لم تقرأ كتابا، أتت إرهاصات بعثته ﷺ مبشرة بقدوم خاتم الأنبياء والمرسلين.

فهو حدث غير عادي، هو التاريخ يصنع، هو نبي الله محمد بن عبدالله ﷺ، فنوره لم يضئ قصور الشام فقط، بل أضاء الكون كله، برسالة تهدي الحائرين، وأضحى الحق بها درعا للمظلومين، وصرخة مدوية في وجه الظالمين والطغاة.

رسالة أحيت قلوب الملايين، وجعلت أمة لا تقرأ «أمة اقرأ»، قصة من أروع القصص، فيها من الحِكم ما لا يحصى ولا يعد.

ومنذ ولادته، والله يهيئ

له حمل الرسالة، بدءا من تسميته «محمدا» وهو اسم لم يكن معروفا آنذاك، كأنما يقول للعالم: إني مختلف، لست كباقي البشر.

وكانت البركة والرزق تتسج خيوطها بدروب حليمة السعدية حينما اختارته رضيعا، فتبدل حالها من فقر إلى بركة ورزق وفير.

وكان يحظى بحب كل من رآه، فلقب بالصادق الأمين؛ كيف لا، ولسانه لم يخالط الكذب، ولم يخضع وجهه الشريف لصنم، ولم يبتل ريقه الطاهر بخمر، ولم يحضر عيدا من أعياد الأوثان، بل كره تلك المعتقدات المضلة الضالة.

فلفت انتباه خديجة، رضي الله عنها، التي استأمنته على تجارتها، ثم اختارته زوجا، وما ذلك إلا دليل رجاحة عقلها ونفاذ بصيرتها.

فأثبتت ذلك حين هدأت من روعه يوم اختار العزلة والتأمل منهجا له ونزل الوحي بـ«اقرأ»، وما كان بقارئ، فقرأ بأحسن الكلام، تنزيل من العزيز المنان، الذي أنار الدرب لكل من تلا حرفه وقرأ ذكره، فحمل الأمانة وأداها كما أمر، وبلغ الرسالة كما أنزلت، لا يزيد فيها حرفا ولا ينقص، لا يحيد عن الحق ولا يساوم على المبدأ.

ترك ما ينير درب المؤمنين من سنته المطهرة، في أقواله وأفعاله وسكونه، فكانت كل حركة منه تشريعا، وكل موقف درسا خالدا تتعلمه الأجيال، وغرس في نفوس أصحابه القيم النبيلة: الصدق، والإحسان، والعدل، والرحمة، والوفاء، فصاروا بالحق دعاة، وبالهدى قادة، وبالإيمان أمة لا تقهر.

كان القدوة في عبادته، لا يمل من الوقوف بين يدي ربه، وكان في بيته، رحيما بأهله، لين الجانب، حييا متواضعا، لا يأنف من خدمة نفسه ولا من الجلوس بين فقراء أمته، يواسي الحزين، ويشجع المتردد، ويواكب الجريح، ويمسح دمعة اليتيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤).

نشر السلام، ووأد العصبية، وأعلى قدر العلم، ورفع مقام المرأة، وربى جيلا يعرف لله قدره، وللناس حقوقهم، جيلا أحب الله فأطاعه، وأحب نبيه فاتبعه، ونحن من بعدهم نسير على خطاهم، نقتدي بخلقه، ونستنير بسنته، نصلي عليه حبا، ونتبعه طاعة، ونعلم أنه ما من درب يقود إلى الله إلا على هديه وسنته.

في سيرة خاتم الأنبياء تتشابك الحروف وتتوه الكلمات في معانيها، فيها من الحكم والمواقف ما ينير درب الإنسان بجميع الاتجاهات.

يقف القلم عاجزا عن إيفاء حقه، فهو نبي لا تختصر عظمته في سطور، ولا تعد مآثره في كتب، من سار على هديه سكن قلبه السلام، ومن تمسك بسنته كانت له النجاة في الدنيا واليقين في الآخرة.

لقد كان محمد ﷺ نورا يمشي على الأرض، هدى الله به أمة غارقة في الجهل، وأحيا به القلوب بعدما أضناها التيه والضلال.

وإن تعاقبت الأيام وزادت القرون، فإن ذكراه لا تبلى، وسيرته لا تنسى. سيبقى نوره يضيء دروب التائهين فمن أراد النجاة فليتبعه، ومن أحب الخير فليكثر الصلاة عليه.

اللهم صلِ وسلم على الشفيع المصطفى، سيدنا محمد ﷺ.

المرجع

- كتاب الرحيق المختوم لفضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري.

سنوات عاما
مجلة كويتية شهرية جامعة
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م



حسن عباس
محرر صحفي

عام دراسي.. وثواب متجدد

مع إشراقة عام دراسي جديد، تعود الحياة إلى المدارس، ويعود أبناؤنا وبناتنا لمواصلة درب الطموح والعلم بعزيمة متقدة. ولإن كانت العودة إلى مقاعد الدراسة حدثا سنويا متكررا، إلا أنها في جوهرها تمثل مرحلة تحول في حياة الطلاب، وموسما تربويا يستدعي التوقف والتأمل من كل الأطراف المعنية بالتعليم من المعلمين والأسر والطلاب.

في ظل تحديات متنامية يعيشها التعليم حول العالم، يبرز دور المدرسة بوصفها بيئة تعليمية وتربوية لا تقتصر على نقل المعلومات، بل تتولى بناء القيم وتعزيز الاتجاهات الإيجابية لدى النشء.. وهنا، تأتي أهمية تكامل الجهود بين الأسرة والمدرسة، وبين الجانب التربوي والبعد الروحي، لتثمر رحلة دراسية ناجحة ومؤثرة.

المعلم أكثر من ناقل معرفة

يعد المعلم حجر الأساس في العملية التعليمية، ودوره يتجاوز التلقين ليشمل التوجيه، وبناء الشخصية، وغرس القيم. ولقد أولى الإسلام العلم وأهله مكانة عظيمة، وجعل طلب العلم عبادة، والتعليم صدقة جارية، تؤتي أكلها في الدنيا والآخرة.

ومن تمام أداء الأمانة التربوية، أن يحرص المعلم على القدوة الحسنة، في سلوكه وحديثه وانضباطه، فالمعلم كما قال الإمام مالك رحمه الله: «كان الرجل إذا أراد أن يأخذ العلم، نظر في هدي الرجل وسمته وصلاته، ثم أخذ عنه العلم»[1]، وهذا يبرز أن المعلم لا يصنع عقولا فقط، بل يبني شخصيات، ويغرس اتجاهات أخلاقية تؤثر في مستقبل المجتمع.

الطالب بذرة اليوم وصانع الغد

الطالب اليوم ليس مجرد متلق، بل شريك فعال في العملية التعليمية. ومن المهم أن يدرك أن العلم ليس وسيلة للحصول على الشهادة فحسب، بل رسالة يؤجر عليها إذا اقترنت بالنية الصادقة والاجتهاد.

وقد حذر النبي ﷺ من طلب العلم لأهداف دنيوية بحتة، فقال ﷺ: «من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»[2].

وما أجمل أن يبدأ الطالب عامه

الجديد بنية رفع الجهل عن نفسه وخدمة مجتمعه، وبحماسة وجد منذ اليوم الأول، فقد قال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»[٣].

ويظل الأدب مقدما على العلم في بناء الشخصية؛ فقد قال عبدالله بن المبارك: «طلبت الأدب ثلاثين سنة، وطلبت العلم عشرين سنة، وكانوا يطلبون الأدب قبل العلم»[٤]، كما أنه من الأدب احترام المعلم، واختيار الصحبة الصالحة، والابتعاد عن رفقاء السوء.

الأسرة.. القدوة الصامتة والمؤثرة

الأسرة لا تكتفي بدور الداعم، بل هي شريك حقيقي في التربية والتعليم. والآباء والأمهات هم من يرسي القواعد الأولى في عقل الطفل وسلوكه، وقد حملهم الإسلام مسؤولية عظيمة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ (التحريم:٦)، وقيل في تفسير الآية: «علموهم وأدبوهم»[٥].

ومن المؤثرات القوية على الطالب: سلوك والديه، فالطفل يتأثر بما يرى أكثر مما يسمع. فإذا رأى والده يقرأ، ووالدته تنظم وقتها، وتشجعه على التعلم، تأثر بهما دون وعي، كما أن متابعة سلوك الأبناء، ومعرفة من يخالطون، وتشجيعهم عند النجاح، وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، كلها عناصر تقيهم الانحراف، وتدعم بناءهم النفسي والاجتماعي.

وقد قال النبي ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين»، وذكر منهم: «رجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها، فله أجران»[٦].

استعداد تربوي شامل

لكي يكون العام الدراسي مثمرا، يجب أن تتكامل الجهود منذ اليوم الأول، فالمدرسة مطالبة بالانطلاق بجاهزية إدارية ونفسية، وتوفير بيئة آمنة ومحفزة، تشمل تنوع المناهج والأنشطة التي تنمي المهارات إلى جانب المعارف، أما الأسرة، فعليها تهيئة الأبناء نفسيا وعمليا، وتحديد أوقات النوم، وتقليل التعلق المفرط بالأجهزة الإلكترونية، وتحفيزهم على الاستعداد بالجدية والانضباط.

مهارات عملية للطلاب

ومع انطلاقة العام الدراسي، لا يقتصر استعداد الطالب على اقتناء الكتب أو تنظيم الجدول، بل يشمل امتلاك مهارات عملية تسهم في تعميق تجربته التعليمية، وتعزز من كفاءته في التعامل مع تحديات الدراسة والحياة اليومية داخل المدرسة وخارجها. فالتفوق لا يبنى فقط بالمعلومات، بل أيضا بكيفية تنظيم الوقت، والتواصل الفعال، والقدرة على التكيف.

ومن المهارات التي تساعد الطلاب في بداية عامهم الدراسي:

تنظيم الوقت بذكاء، وذلك بترتيب الأولويات وتخصيص وقت كاف للمواد التي تتطلب جهدا أكبر.

التعامل المبكر مع التحديات الدراسية يساعد على تجنب تراكم المشكلات، وييسر الاستفادة من دعم المعلمين في الوقت المناسب.

وضع أهداف واضحة وقابلة للقياس يعزز التركيز، ويجعل تحقيق النتائج أكثر واقعية واستدامة.

الحفاظ على التوازن بين الدراسة والجوانب الأخرى من الحياة، كالنشاطات الاجتماعية والراحة والالتزامات الدينية، يسهم في تكوين شخصية متوازنة وصحية.

خاتمة

عام دراسي جديد ليس فقط بداية جدول دراسي، بل فرصة تربوية وروحية تتجدد. فلنغتنمها جميعا لصناعة جيل متعلم ومنتج يرفع من شأن أمته ووطنه. وبقدر إخلاص النية وتكامل الجهود، تتحقق بركة العلم، وترتقي المجتمعات.

نسأل الله أن يكون هذا العام الدراسي بداية خير وبركة، وأن يكلل بالنجاح مساعي جميع من يسهمون في بناء العقول وتربية النفوس عبر دروب العلم والتعلم.

الهوامش

١- الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ٧٨/١.

٢- سنن أبي داود، كتاب: العلم، باب: في طلب العلم لغير الله، رقم:٣٦٦٤.

٣- صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيرا، رقم:٧١.

٤- الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ٧٩/١.

٥- تفسير الطبري، ٥٦٦/٢٣.

٦- صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: من علم مملوكه، رقم:٣٠١١.

د. عبدالفتاح همام
باحث شرعي

نازلة خدمة الدفع لآجل (اشتر الآن وادفع لاحقا)



انتشرت خدمة من خدمات تمويل الأفراد، استجابة للتطور التقني وحاجة الأفراد للسلع والخدمات، وقد لاقت هذه الخدمة إقبالا كبيرا في الدول العربية، خصوصا دول الخليج.

وتسمى خدمة الشراء عن طريق وسيط الدفع الآجل، أو ما يعرف تجاريا «اشتر الآن وادفع لاحقا».

تصوير النازلة

جاء تعريف هذا النشاط في المادة الأولى من قواعد تنظيم شركات الدفع الأجل الصادر عن البنك المركزي السعودي بأنه: «تمويل العميل لشراء السلع أو الخدمات من المتاجر بلا كلفة أجل مستحقة على العميل».

الطريقة الإجرائية لهذه الخدمة

تقوم الشركة الممولة (الطرف الأول) بقرض العميل (الطرف الثاني) قرضا حسنا، ليشتري من التاجر (الطرف الثالث) سلعة أو خدمة.

وتأخذ الشركة الممولة (الطرف الأول) من التاجر (الطرف الثالث) مبلغا مقطوعا نظير تسويقه وتسهيل عمليات البيع للطرف الثالث. أما العميل (الطرف الثاني) فسيرد القرض بتمامه، من غير زيادة.

ويظهر لنا أن أطراف العلاقة التعاقدية ثلاثة وهم: العميل (المشتري)، والتاجر (البائع مقدم السلعة أو الخدمة)، والوسيط (الشركة الممولة).

التكييف الفقهي لأطراف العلاقة التعاقدية الثلاثة

أولا- العلاقة بين العميل والتاجر: عقد بيع، فالعميل مشترٍ للسلعة والخدمة، والتاجر بائع.

ثانيا- العلاقة بين العميل والشركة: عقد قرض، أو ضمان أو حوالة مطلقة.

ثالثا- العلاقة بين الشركة والتاجر: عقد وساطة ووكالة بأجر وتقديم خدمات، أو ضمان أو بهما معا.

الحكم الفقهي لهذه الخدمة

بناء على اختلاف الباحثين في توصيف العلاقة بين الأطراف، اختلف الحكم الفقهي، ويمكن إيجاز ذلك في اتجاهات ثلاثة:

الاتجاه الأول: التوقف والإرجاء

وهو موقف مجمع الفقه الإسلامي الدولي، في دورته ٢٦ المنعقدة في دولة قطر، مايو، ٢٠٢٥م، وقدمت مجموعة من البحوث، اختلف أصحابها بين متردد ومبيح ومانع، لذلك أرجئ البت في هذا الموضوع في دورة أخرى.

الاتجاه الثاني: عدم جواز التعامل بخدمة الدفع الآجل

وذهب إلى هذا القول هيئة الفتوى الكويتية، ومنتدى الاقتصاد الإسلامي، وعدد من الباحثين..

وقالوا: لأنها من قبيل الإقراض بعوض مشروط من طرف ثالث، أو لأنها من قبيل الكفالة الآيلة للقرض بأجر مشروط من طرف ثالث، أو لأنها من قبيل خصم الدين النقدي وبيعه لغير المدين بنقد أقل، وكل هذه التوصيفات الفقهية تؤول إلى التحريم.

الاتجاه الثالث: جواز التعامل بهذه الخدمة

ومن أنصار هذا الرأي الهيئة العليا الشرعية للبنك الوطني الماليزي، ودار المراجعة الشرعية، وعدد كبير من الباحثين المعاصرين.

وقالوا: الأصل في المعاملات الحل، وقياسا على قول من أجاز أخذ البنك مصدر البطاقة الائتمانية غير المغطاة من التاجر مقابل عمولة على الشراء بالبطاقة، وهذا ما جاء في قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي بشأن البطاقات الائتمانية، وفيه: «جواز أخذ البنك المصدر من التاجر عمولة على مشتريات العميل منه شريطة أن يكون بيع التاجر بالبطاقة بمثل السعر الذي يبيع به بالنقد».

والرأي عندي -والله أعلم- الجواز بضوابطه وهو خلو العقد من الزيادة المشروطة في القرض، ومن غرامة التأخير، والفصل بين العقود، وينبغي على بعض شركات الدفع الآجل الأخذ بعين الاعتبار بالمآخذ الشرعية التي بسطها المانعون من التعامل مع هذه الخدمة.



المتفق والمفترق
في الأسماء والأنساب والكنى

تراجم
د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث

سلسلة الأعلام المتشابهة (١٠٣)

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم «الثعالبي»

١- أبو منصور الثعالبي (ت:٤٢٩هـ):

هو أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، من أئمة اللغة والأدب، من أهل نيسابور.

ولد سنة: (٣٥٠هـ)، اشتغل بالأدب والتاريخ فنبغ، وصنف الكتب الكثيرة الممتعة.

من أبرز مصنفاته: «يتيمة الدهر في محاسن أهل الدهر» في تراجم شعراء عصره، و«فقه اللغة وسر العربية»، و«سحر البلاغة وسر البراعة»، و«طبقات الملوك»، و«ثمار القلوب في المضاف والمنسوب»، و«سر الأدب»[١].

٢- أبو زيد الثعالبي (ت:٨٧٥هـ):

هو أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المالكي الجزائري، مفسر، فقيه، متكلم.

ولد سنة: (٧٨٦هـ)، زار تونس والمشرق.

من أبرز مصنفاته: «الجواهر الحسان في تفسير القرآن»، و«جامع الأمهات في أحكام العبادات»، و«الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز»، و«الإرشاد في مصالح العباد»، و«رياض الصالحين»[٢].

٣- عبدالعزيز الثعالبي (ت:١٣٦٣هـ):

هو عبدالعزيز بن إبراهيم بن عبدالرحمن الثعالبي، من الخطباء الكتاب، جزائري الأصل.

ولد بتونس سنة: (١٢٩١هـ)، وأصدر بها جريدة: «سبيل الرشاد»، وسجنه الفرنسيون، وزار بعض البلاد العربية والأستانة والهند.

من أبرز مصنفاته: «تاريخ شمال إفريقية»، و«فلسفة التشريع الإسلامي»، و«تاريخ التشريع الإسلامي»، و«مذكرات» في خمسة أجزاء، عن رحلته إلى مصر والشام والحجاز والهند وغيرها، و«معجز محمد رسول الله ﷺ»، توفي بتونس[٣].

٤- الحجوي الثعالبي (ت:١٣٧٦هـ):

هو محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي، من رجال العلم والحكم، من المالكية في المغرب، من أهل فاس.

ولد بفاس سنة: (١٢٩١هـ)، سكن مكناسة وجدة والرباط، ودرس ودرّس في القرويين.

من أبرز مصنفاته: «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي»، و«المحاضرة الرباطية في إصلاح تعليم الفتيات في الديار المغربية»، و«التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين»، و«النظام في الإسلام»، و«مختصر العروة الوثقى» ذكر فيه شيوخه ومن اتصل بهم، توفي بالرباط، ودفن بفاس[٤].

الهوامش

١- انظر: الأعلام للزركلي (١٦٣/٤)، ومعجم المؤلفين (١٨٩/٦).
٢- انظر: الأعلام للزركلي (٣٣١/٣)، ومعجم المؤلفين (١٩٢/٥).
٣- انظر: الأعلام للزركلي (١٢/٤)، ومعجم المؤلفين (٢٤٠/٥).
٤- انظر: الأعلام للزركلي (٩٦/٦)، ومعجم المؤلفين (١٨٧/٩).

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

«شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك»

تعد مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المجلة عام (١٩٦٥م)، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية والدوريات العربية والعالمية.

ويأتي كتاب: «شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالكتاب

«شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك» هو من أشهر الشروح النحوية التي وضعت على متن الألفية، ويعد مرجعا تعليميا وتربويا أساسيا في تعليم النحو العربي. ألفه ابن عقيل عبدالله بن عبدالرحمن الهمذاني، ويعد هذا الشرح من أكثر الكتب اعتمادا في المدارس والمعاهد الشرعية واللغوية حتى يومنا هذا.

التعريف بمؤلف الكتاب

هو العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن عقيل الهمذاني المصري (٦٩٤هـ-٧٦٩هـ)، ويعرف اختصارا بـ «ابن عقيل»، وهو من كبار علماء النحو في القرن الثامن الهجري، ومن أشهر شراح ألفية ابن مالك، ولد في مصر، في أسرة علمية ذات اهتمام بالعلوم العربية والشرعية، تلقى علومه على يد كبار العلماء في عصره، من أبرزهم:

ابن الشحنة، والدماميني.. وغيرهما، وتعمق في مختلف العلوم (علم النحو، الفقه، أصول الدين، المنطق، البلاغة)، كما اشتهر خصوصا بنبوغه في علم النحو، وقد تولى ابن عقيل التدريس في عدة مدارس في مصر، وكان من مدرسي الجامع الأزهر، وقد توفي يرحمه الله في القاهرة سنة: (٧٦٩هـ).

مؤلفاته

لابن عقيل عدة مؤلفات: شرح ألفية ابن مالك، الجامع النفيس في شرح مختصر ابن الحاجب، بعض الحواشي والتعليقات على كتب الأصول والبلاغة.

محتوى الكتاب العام

الكتاب يتكون من شرح منظومة ابن مالك في النحو والصرف، والتي تزيد على ١٠٠٠ بيت، وتشمل: الكلام وأقسامه، الإعراب والبناء، الأفعال (أنواعها، وتصريفها)، النواسخ، المرفوعات والمنصوبات، المجرورات، التوابع، الجمل، أحكام العدد، الاشتقاق والمصادر. ونضرب لذلك مثلا:

البيت الأول من الألفية

كلامنا لفظ مفيد كاستقم
واسم وفعل ثم حرف الكلم

«كلامنا» يريد المؤلف أن يبين ما هو الكلام في اصطلاح النحاة، فيقول: «كلامنا» أي: الكلام في اصطلاح أهل العربية.

«لفظ مفيد كاستقم»: اللفظ: هو الصوت المشتمل على بعض الحروف، مفيد: أي يفيد فائدة يحسن السامع السكوت عليها، كاستقم: هذا مثال للكلام المفيد: «استقم» أمر، يفيد المعنى التام.

وهذا مثال ذكرناه لتوضيح أسلوب ابن عقيل في شرح ألفية ابن مالك، يعبر عن منهجه في كامل الكتاب.

نسخة مجلة الوعي

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة من هذا الكتاب الماتع القيم النافع، وهو في متناول قرائها الكرام المهتمين بكتب اللغة العربية وعلومها.

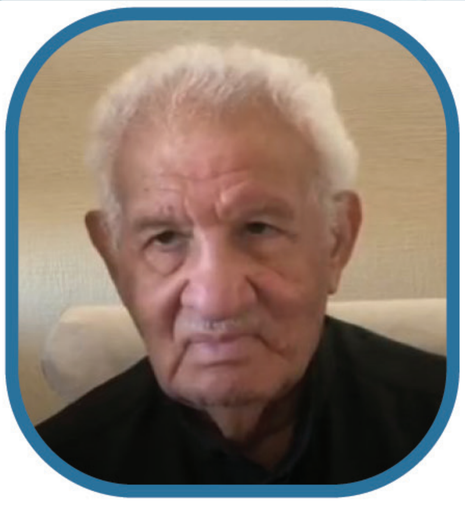
المصادر

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك.
- الأعلام.
- كشف الظنون.

أ. هشام الصباغ
باحث لغوي

شيخ المؤرخين الأندلسيين

عبدالرحمن بن علي الحجي



■ همه كان في التأريخ الإسلامي العربي وتنقيته مما شابه من الغث.. وهدفه إعطاؤنا إياه سمينا على طبق من ذهب بأيد إسلامية موثوقة لا بأيد غربية هدّامة لتاريخنا، تريد تشويهه وتزويره لتسلبنا هويتنا التاريخية الإسلامية.

■ من أبرز الأقلام التي وثّقت تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط، وجهوده كبيرة بارزة في ذلك الحقل، إذ ألف وحقق وترجم كثيرا من الأعمال التي أصبحت فيما بعد مرجعا مهما وأساسيا للباحثين في الدراسات الأندلسية.

■ آخر تغريداته كانت: «أزعم أن معرفة التاريخ الإسلامي من أكبر الروافد في فهم الإسلام نفسه؛ قرآنا وسنة وسيرة، لأنه هو التطبيق العملي للإسلام».. إنه المؤرِّخ العراقي والباحث المحقِّق، وأستاذ التاريخ الإسلامي والأندلسي وحضارته في العديد من الجامعات، وأحد مؤسسي جامعة الإمارات العربية المتحدة، وعميد كلية العلوم الإنسانية بها.. عبدالرحمن بن علي الحجي.

المولد والتعليم

■ وُلِدَ الدكتور عبدالرحمن في مدينة المقدادية في محافظة ديالى بالعراق لعائلة بسيطة تعمل في الفلاحة.. جَدُّه لأبيه (محمد) كان بمنزلة فقيه المدينة وكان من أوائل من قام بالحج في تلك الأيام، ولُقِّبَ بعدها بالحَجِّي، وهكذا تَسَمَّت العائلة بهذا اللقب.

■ قضى عبدالرحمن سنوات صباه في مساعدة أهله في رعاية البستان، لكن ذلك لم يمنعه من التَقَدُّم في المجال الأكاديمي، إذ كان شغوفا بالقراءة ومتميزا في المدرسة بتحصيله العلمي المتقدم.

■ أنهى مراحل تعليمه الأولي في العراق، ثم حصل على الليسانس في اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية من كلية دار العلوم في جامعة القاهرة عام ١٩٥٩م، بعدها حصل على دبلوم عامة (عالي) في التربية وعلم النفس من جامعة عين شمس في القاهرة عام ١٩٦٠م.

■ انتقل بعدها إلى الأرض التي عشقها وعشق تاريخ أسلافه فيها (الأندلس)، وبدأ الدراسات العليا في الساميات في جامعة مدريد، وأنهى السنة الأولى منها بامتياز، ثم اضطر إلى ترك الدراسة فيها قبل إنجاز البرنامج لاغتنام فرصة نادرة تهيأت له لبدء الدكتوراه في جامعة كمبردج البريطانية العريقة، والتي حصل عليها عام ١٩٦٦م.

حياته العملية

■ في عام ١٩٦٦، عاد من بريطانيا ليعمل أستاذا في قسم التاريخ بجامعة بغداد، ثم جامعة الرياض، ثم عاد مجددا إلى جامعة بغداد لينتقل منها للعمل مع فريق من الأساتذة لتأسيس جامعة الإمارات عام ١٩٧٧م، فعمل فيها أستاذا ورئيسا لقسم التاريخ حتى عام ١٩٨٥م، وفي فترة عمله بالإمارات حصل على درجة الأستاذية من جامعة بغداد عام ١٩٧٩م، بعدها التحق بجامعة الكويت حتى عام ١٩٨٨م.

إرثه العلمي

■ لديه أكثر من مؤلف ومصنّف عن تاريخ الأندلس، سواء كان اجتماعيا أو سياسيا أو اقتصاديا، من بين أشهرها: «التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة»، و«مع الأندلس.. لقاء ودعاء».

مساهماته مع الوعي

■ كان للعلامة الحجي ثلاث مشاركات مع المجلة جاءت تحت عناوين: «صورة من الدبلوماسية الأندلسية»، ع:٢٥، و«الإسلام والحضارة» (ك.ش)، ع:٥٤، و«فتية لشبونة المغرورون»، ع:٩٦.

وفاته

■ رحل العلاّمة الدكتور عبدالرحمن علي الحجي عن عمر ناهز ٨٦ عاما، في العاصمة الإسبانية مدريد.

المصادر

- موقع الدكتور عبدالرحمن علي الحجي.
- موقع الجزيرة (طه العاني).
- موقع إسلام أونلاين.

د. تركي محمد النصر
محرر وباحث

راحة الدنيا أيام قلائل

إن راحة الدنيا أيام قلائل، وأكثرها منغص بالتعب، مشوب بالنصب، وبسببها تفوت راحة الآخرة التي هي الدائمة الباقية، والملك الذي لا نهاية له ولا فناء، فيسهل على العاقل أن يصبر في هذه الأيام القلائل؛ لينال راحة دائمة بلا انقضاء.

(انظر: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، الغزالي، ص:٣١)

أصول الخطايا

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «أصول الخطايا كلها ثلاثة: الكبر: وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره. والحرص: وهو الذي أخرج آدم من الجنة. والحسد: وهو الذي جرأ أحد ابني آدم على أخيه. فمن وقي شر هذه الثلاثة؛ فقد وقي الشر، فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص، والبغي والظلم من الحسد».

(انظر: الفوائد لابن القيم، ص:٥٥)

العرب والإسلام

كان العرب بحق خير دعاة لدين الإسلام، وكان الإسلام شرفا عظيما لهم، وكانوا يتمتعون بخصال طيبة وميول سامية، وحيوية فائقة، ولكن ينقصها التنظيم والعقيدة الصحيحة، فكان الإسلام أمل العرب، وطريق النور والهداية والإنقاذ من الضلال والانحراف، وكان العرب حملة مشعل الهداية والقرآن والمدنية والحضارة، ورسل الحق والخير والعدل، فنجحوا في أداء رسالتهم، ووفوا بواجب الأمانة المحملة في أعناقهم، فارتفع ذكرهم، وعلت كلمتهم، وطأطأت هامات الدنيا لسيادتهم وسلطانهم بعد إصلاح الإسلام لهم إصلاحا جذريا، وصدق الله فيهم حيث يقول: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ (الزخرف:٤٤)، وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء:١٠)، وقوله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (آل عمران:١١٠).

(انظر: جهود العلامة وهبة الزحيلي في مجلة الوعي الإسلامي، ص:٢٢)

أنت الندى وابن الندى وأخو الندى

دخل أعراب على خالد بن عبدالله فأنشدوه، وفيهم رجل ساكت لا ينطق، ثم قال لخالد: ما يمنعني من إنشادك إلا قلة ما قلت فيك من الشعر؛ فأمره أن يكتب في رقعة، فكتب:

تعرضت لي بالجود حتى نعشتني
وأعطيتني حتى حسبتك تلعب
فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى
حليف الندى ما للندى عنك مذهب

فأمر له بخمسين ألف درهم!

(انظر: الفوائد والأخبار، ابن دريد الأزدي، ص:٢٠)

«وتلك حدود الله...»

❖ «وتلك حدود الله...» من أعظم وأجل ما امتن به الله عز وجل على عباده رحمة وشريعة وحدودا كي تستقيم أمورهم وتعتدل بها معايشهم وتكون حياتهم... إنها نعمة «حدود الله» فقه سعادة الحياة وابتغاء أمان الدنيا ونعيم الآخرة.

❖ «وتلك حدود الله...» لا يدرك جوهرها ومقصدها إلا من عظم إيمانه وحسن إسلامه وتمتعت ذاته بكوامن أسرارها ولآلئها وثمارها وآثارها... متعلقا بها شرعة ومنهاجا واستشعر -يقينا- أنها قارب النجاة والملجأ والملاذ والطريق للفوز برضا الله تعالى.

❖ «وتلك حدود الله...» كلما قرأناها استحضرنا عظمة ذلك المشهد النبوي الشريف بشأن المرأة المخزومية التي أمر رسول الله ﷺ بتطبيق حد السرقة عليها بقطع يدها فما كان من قومها إلا أنهم لجأوا إلى أسامة بن زيد (الحب ابن الحب) ليشفع لها عند رسول الله ﷺ، فما إن نطق أسامة بن زيد بما أراد ويأملون حتى كان ذلك العتاب والقول الصارم من رسول الله ﷺ مخاطبا إياه: «أتشفع في حد من حدود الله؟!»، ثم قام ﷺ فخطب الناس وقال: «أيها الناس، إنما أهلك من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» (متفق عليه).

❖ هذا المشهد النبوي الشريف ما كان إلا تأصيلا لهيبة وقداسة حدود الله ترسيخا لوضع لبنات الكيان الإسلامي أمة وبشرا، فكانت ثماره منهجا ونظاما.. أمنا وأمانا.. مساواة وعدلا.. راحة واطمئنانا ولتكون تلك الأمة بتلك الحدود خير أمة أخرجت للناس.

❖ «وتلك حدود الله...» حذرنا عز وجل من أن تخضع تلك الحدود في وقت ما لأهواء البشر وميولهم حين تصدأ القلوب وتضعف النفوس وتضل العقول أمام مطامع الدنيا وشهواتها، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (البقرة:٢٢٩).

❖ «وتلك حدود الله...» احذري أيتها النفس مواجهتها بالمخالفة والمعاندة والمعاداة والاعتراض والممانعة والشقاق والعصيان والعبث والتهميش، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة:٦٣). وحتى لا يكون مصيرك -أيتها النفس- كما في قوله تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ (الطلاق:٩).

❖ ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ...﴾ هي توهج الضمير نحو الحق.. هي العدل ووأد الظلم... هي نشوة الحياة وراحة النفس وأمانها وأمنها.. هي ارتقاء العقل وسمو الفكر وفهم الثوابت والعلم بالأصول.. هي أشرف اعتزاز وانتماء لهذا الدين العظيم.

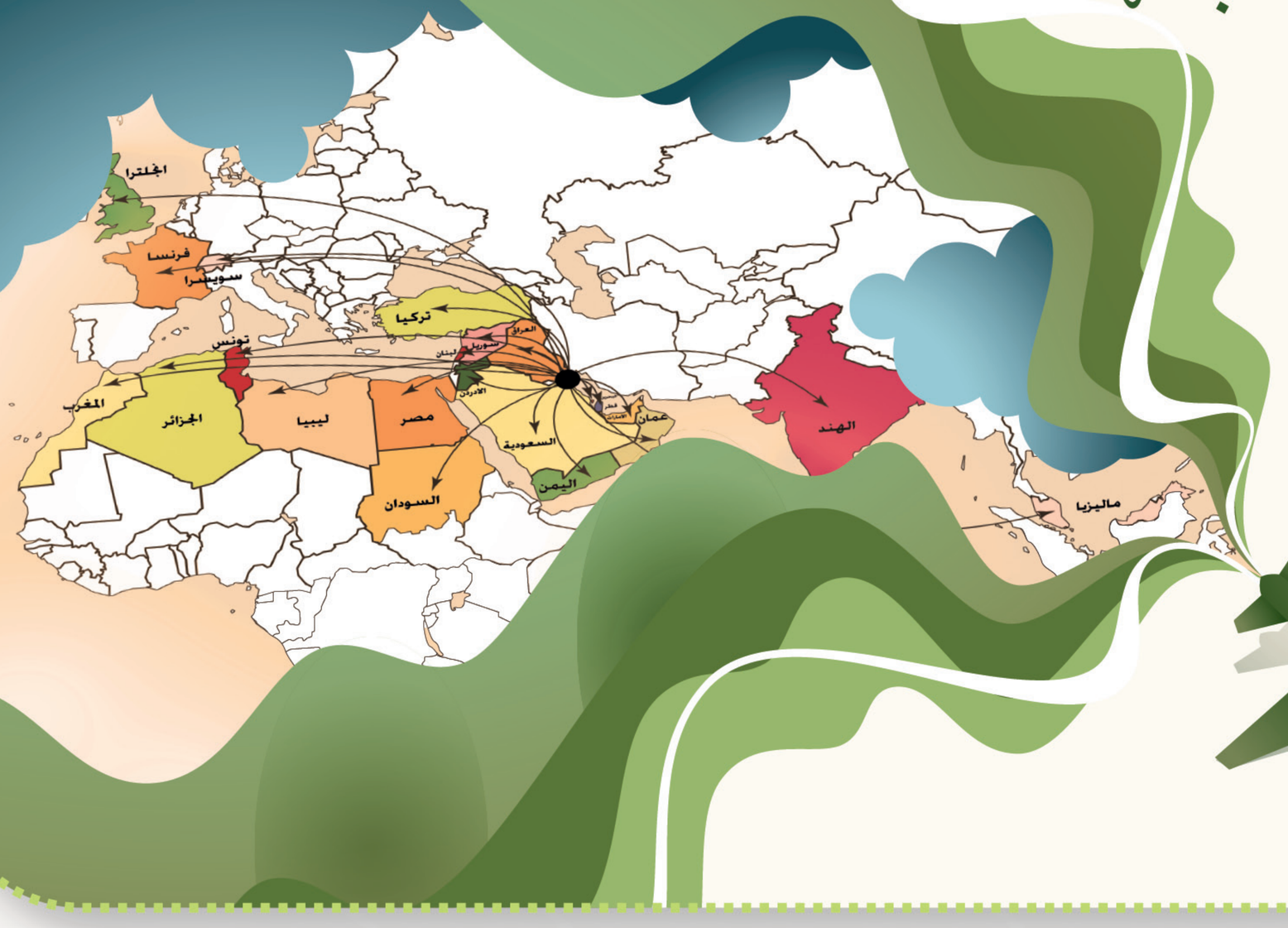
❖ ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ...﴾ ما أروعها من نعمة وما أجلها من منة.

عثمان إسماعيل محمد حسين
كاتب تربوي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
الوعي الإسلامي
AL-Waef AL-Islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

براعم الإيمان
قلم صغير وفكر منير

خريطة توزيع المجلة



دعوة

تدعو مجلة «الوعي الإسلامي» قراءها الأفاضل إلى مراسلتها على الفور في حال توافر لديهم الأعداد الموضحة بالشكل من مجلة «براعم الإيمان» الملحقة بها وذلك على:

16	15	14	13	12	8	7	5	4	3	12
47	41	37	36	53	32	27	26	23	22	21
86	83	79	77	71	69	65	63	57	56	55
								146	129	109

الأعداد المطلوبة

إعداد وإخراج
فاطمة الجندي

